الباب السادس

في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

obeikandl.com

obeikandl.com

١ نسطر أسئلة عبثوا بالسؤال عنها، ونشفعها بالجواب، لينتفع بذلك من أحب مكالمتهم.

سؤال: قال النصارى: قد علمتم معاشر المسلمين أن اليهود والنصارى يزيد عددهم على عدد التواتر أضعافاً مضاعفة، وها هم ينقلون ويخبرون أن المسيح قد قُتل وصُلب على رابية من روابي البيت المقدس، وخبر التواتر يفيد العلم ويُوجب القطع، فكيف ينفي كتابكم ما أثبته التواتر؟! وما ذلك إلا بمثابة من ينفي وجود بغداد وغيرها مما عُلم بالضرورة.

والجواب: هو أنَّا نقول: مَن سَلَّم لكم أن الذين شاهدوا القتل وشهدوا به بلغوا حد التواتر، كَلاَّ. لم يكونوا بهذه الصفة، وبيانه أن الذين حضروا القتل والصلب إنما كانوا شرذمة من اليهود، فأما أصحاب المسيح فلم يحضر منهم أحد البتة كما قدمنا(١).

وإذا كان المخبرون آحاداً / وأفراداً فلا تواتر، إذ التواتر شرطه أن يستوي فيه ١/١٥٣/ب
الطرفان والواسطة.

وإذا كان الحاضرون للقتل لم يوصفوا بهذه الصفة فكثرة من جاء بعدهم إنما أخبر عنهم، فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز على خبرهم. فهذا وجه.

---

(١) ر: الباب الخامس.

والوجه الثاني: أَنَّا لو قَدَّرنا أنهم بلغوا حد التواتر - غير أن التواتر إنما أثبت قتلاً وصلباً لا غير - فلا جرم أن القرآن الكريم لم يَنْفِه، ولكن القرآن إنما نفى أن يكون المفعول به ذلك المسيح نفسه، وأعلمنا أنه كان قد شُبّه لهم. وهذا القدر لو عُرِض على الذين شاهدوا الصلب وقيل لهم: أَتجوِّزون أن يكون هذا الذي قد أُحْضر للقتل ليس هو المسيح، ولكنه رجل قد ألقى الله شبهه عليه أو خلقه الله ابتداء يُشبه المسيح؟! فإنا نعلم أنهم كانوا يجوِّزون ذلك ولا يحيلونه؛ لأن تغيير الأشباه والأشكال جائز في مقدور الله تعالى، وإنما يمتنع ذلك في زمان لا تخرق فيه العوائد، وقد كان في زمان المسيح خوارق [لا يخفى][1] / أمرها، فلا يمتنع أن يكون الله سبحانه قد خرق العادة بإلقاء شبه ١/١٥٤/أ المسيح على غيره، أو أتاح لهم شخصاً يشبهه، كما خرق العادة فقلب النار برداً وسلاماً على إبراهيم الخليل وعلى الفتية في زمن دانيال عليه السلام، وكما حوَّل لون يد موسى عن لونها الأول، وغَيَّر جوهر الماء إلى الخمر والزيت للأنبياء عليهم السلام، وإذا كان ذلك جائزاً، فالذين أخبروا أن المصلوبَ المسيحُ ليسوا على ثبت، فلم يوجب خبرهم عِلْماً، فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز عليهم، وإذا ثبت ذلك لم يقع التعارض بين الأدلة القطعية.

فإن قيل: من هو الذي وقع عليه الشَّبه حتى التبس أمره على اليهود والنصارى واشتبه؟

---

(١) في ص (لا تخفى) والصواب ما أثبته.

قلنا: روى وهب بن منبه[1]: أن المسيح حين أحاطت به اليهود في بيت كان فيه، صوَّر الله الجميع بصورة المسيح، فخرج واحد منهم وكانوا تسعة عشر رجلا فأخذوه وذهبوا ليلاً[2]، وكذلك روى مجاهد[3].

وقال ابن إسحاق[4] - عمَّن أسلم منهم -: إن المسيح / حين حصره اليهود ١/١٥٤/ب قال: من يقبل صورتي فيقتل وله الجنة؟ فقال أحد من معه: أنا، فوقع عليه شبه المسيح، وصعد بالمسيح من ساعته إلى السماء، وأخذ الرجل فقتل صبيحة تلك الليلة[5]. قاله من المفسرين السُّدِّي[6] وقتادة[7] وابن جريج[8].

(١) هو وَهْبُ بن مُنَبِّه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأنباري، العلامة الإخباري القصصي، من خيار علماء التابعين، مات سنة ١١٠هـ. (ر: ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٢٤، وسير أعلام ٤/ ٥٤٤، تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٧، التفسير والمفسرون - الذهبي ١/ ١٩٥).

(٢) أخرجه الإمام ابن جرير الطبري ورجحه في تفسيره / ٦/ ١٢، ١٥، ١٦.

(٣) هو مُجَاهِد بن جَبْر، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب، من كبار التابعين، مات سنة ١٠٤هـ على الأشهر. (ر: ترجمته في المصادر السابقة على الترتيب ٨/ ٣١٩، ٤/ ٤٤٩، ١٠/ ٣٨، ١/ ١٠٤).

(٤) هو محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر، المطلبي مولاهم، إمام أهل المغازي، صاحب السيرة النبوية، صدوق يدلس، مات سنة ١٥٠هـ وقيل بعدها. (ر: ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢١، سير أعلام ٧/ ٣٣، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨، تاريخ بغداد ١/ ٢١٤).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٦/ ١٤، ١٥ عن ابن إسحاق، والسدي وقتادة، وابن جريج، والقاسم بن أبي بزة.

(٦) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كَرِيمة، الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعورُ السُّدِّي، أحد موالي قريش، صدوق يهم، ورمي بالتشيّع، من الرابعة، مات سنة ١٢٧هـ. (ر: ترجمته في طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤، تهذيب ١/ ٣١٣، طبقات المفسرين ١/ ١٠٩).

(٧) هو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السدوسي البصري، الأكمه، حافظ العصر، قدوة المفسرين، وهو حجة بالإجماع إذا بيّن السماع فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر - نسأل الله العفو - وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة ١١٧هـ. (ر: ترجمته في ابن سعد ٧/ ٢٢٩، سير أعلام ٥/ ٢٦٩، تهذيب ٨/ ٣٥١، طبقات المفسرين ٢/ ٤٣، التفسير والمفسرون، الذهبي ١/ ١٢٥).

(٨) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد وأبو الوليد الأموي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل من السادسة، مات سنة ١٥٠هـ أو بعدها. (ر: ترجمته في الجرح لابن أبي حاتم ٥/ ٣٥٦، سير أعلام ٦/ ٣٢٥، تهذيب ٦/ ٤٠٢، التقريب ١/ ٥٢٠، التفسير والمفسرون ١/ ١٩٨).

وقيل إن اليهود لما جاؤوا لأخذ المسيح هرب من كان معه من أصحابه وثبت معه رجل واحد يسمى جرجس، فألقى الله شبهه عليه، فأخذوه وذهبوا به ليلاً، وستر الله المسيح عن أعينهم، فعذبوا الرجل ليلاً، ثم قتلوه من صبيحة تلك الليلة(١)، فلم يشك من كان ترك المسيح وهرب عنه أن المأخوذ هو المسيح، فلذلك أخبروا أن المسيح قد صلب.

قال المؤلف: قد روينا فيما تقدم من كتابنا هذا عن بطرس - صاحب المسيح - أن المسيح عليه السلام صعد إلى جبل الجليل في جماعة من أصحابه، فنظروا إلى وجهه وإذا هو قد تغيرت صورته، وابيضت ثيابه، وإذا موسى وإلياء قد نزلا إليه ومعهم سحابة تظلهم، وعند ذلك وقع على بطرس / ١/١٥٥أ وأصحاب المسيح النوم فناموا(٢)، وذلك يحقق قولنا في الشبه(٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير ٦/ ١٥، قال: قال ابن حميد: قال سلمه: قال ابن اسحاق: . . . فذكره بنحوه.

(٢) متى١٧/ ١-٨، مرقس ٩/ ٢-٨.

(٣) اختلف العلماء في الشبه المصلوب بدلاً عن المسيح عليه السلام على أقوال هي:

الأول: أن عيسى عليه السلام سأل أصحابه - ممن كان معه في البيت حين أحاط به اليهود - فقال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، فانتدب لذلك شاب من أحدثهم سناً، فألقي عليه شبهه فقتل ورفع عيسى عليه السلام. قال بهذا قتادة والسدي والقاسم بن أبي بزه وابن جريج، ورجحه الإمام ابن كثير في تفسيره ١ / ٥٨٧، ٥٨٨، وساق في ذلك أثراً من تفسير ابن عباس ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه، وكذا ذكره غير واحد من السلف. اهـ.

الثاني: قيل: إن شبه عيسى ألقي على جميع من كان معه في البيت من غير مسألة عيسى إياهم ذلك، فخرج إلى اليهود بعض من كان في البيت، فقتلوه وهم يحسبونه أنه المسيح عليه السلام. وهذا القول أحد الروايتين عن وهب بن مُنَبِّه واختاره الامام ابن جرير في تفسيره ٦/ ١٦.

الثالث: قيل: إن الشبه ألقي على الحواري الخائن يهوذا الأسخريوطي الذي أخذ الرشوة من اليهود ليدلهم على مكان المسيح عليه السلام، فعاقبه الله بعكس مقصوده، فألقي شبه عيسى عليه، فقبض عليه اليهود وقتلوه وهم يحسبون أنه المسيح عليه السلام. وهذا القول أحد الروايتين عن وهب بن منبه (ر: تفسير الطبري ٦/ ١٣) وبه قال نجم الدين الطوفي في كتابه (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ص ١٠٢)، وقد وردت هذه الرواية في إنجيل برنابا (ر: الفصل الإصحاح ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧).

==

٢ **سؤال**: قال النصارى: كيف يصح أن يكون المصلوب غير المسيح ثم يقترن بصلبه ظهور ما ظهر من الآيات من اسوداد الشمس وانشقاق حجاب الهيكل وقيام الأموات وغير ذلك، وكم قد قُتِلَ من الأنبياء والشهداء ولم يظهر عند مقتلهم شيء من هذا؟

قلنا: قد دللنا على كذب هذا النقل بعدم انتشاره في العالم واشتهاره بين طبقات بني آدم، وأنه لو كان صحيحاً لَدُوِّن في الكتب ونقله علماء العجم والعرب، فحيث لم ينقل ذلك دل على كذبه وافتعاله(١).

ثم لو قدرناه صدقاً وأمراً ثابتاً حقا لم يلزم منه أن يكون المصلوب هو المسيح بل لكونه من الحواريين الذين هم عندكم أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ثم ذلك الحواري أفضل الحواريين كلهم لوجهين: أحدهما - لإيثاره المسيح بنفسه حتى فداه من القتل - والثاني - لإيثار المسيح إياه بشبهه، فقد صار له بذلك مزية أوجبت أن تبكي عليه السماء والأرض ويتشوش العالم فيأخذ في النقص والنقض/. ١/١٥٥/ب

==

الرابع: قيل إنه شبه للنصارى القول بذلك؛ أي حصلت لهم الشبهة في أمره، وليس لهم علم بأنه قتل وصلب، وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت وشُرَطهم المُدَّعون لهم أنهم قتلوه وصلبوه، وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك، وإنما أخذوا مَنْ أمْكَنَهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة الذين شبه لهم الخبر. وقال بهذا ابن حزم في الفصل في الملل والنحل ١/ ١٢٥، وذكره ابن القيم في هداية الحيارى ص ٣١٤.

والذي أرجحه - والله أعلم - هو القول الأول لصحة إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه، ولأن الله سبحانه وتعالى قد أثنى على الحواريين في عدة آيات من سورة آل عمران والمائدة والصف، قال تعالى: **﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا: آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾** المائدة/ ١١١. وقال تعالى: **﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال: من أنصاري إلى الله قال الحواريون: نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون - ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾** سورة آل عمران/ ٥٢، ٥٣. فناسب أن يكون موقفهم بحسب قوةإيمانهم بالله وتصديقهم لنبيه عيسى عليه السلام أن يفدوه بأنفسهم ويستشهدوا في سبيل الدفاع عنه عليه السلام.

(١) ر: ص٢٢٨، ٢٢٩.

٣ سؤال على النصارى: يقال للنصارى: قد زعمتم أن المسيح هو إله العباد وخالقهم وبارئهم ورازقهم وآمرهم وناهيهم ومدبِّرهم في جميع أحوالهم وحافظهم إلى منتهى آجالهم، ثم زعمتم مع ذلك أن اليهود عدوا عليه فأخذوه قهراً وسحبوه قسرًا بعد أن هرب واختفى، وإنما دَلَّ عليه بعض أصحابه، فلما ظفروا به أهانوا وبذلوه وما صانوه، ثم جعلوا على رأسه إكليلاً من الشوك، وعبثوا به كما يعبث بأهل النوك، ثم رفعوه على جذع ضمانا، واستسقى ماء فسقي خلاً هواناً، ثم ترك حتى ألصقت الشمس جسده بالصليب، ولم يكفن لولا تصدَّق عليه بالكفن إنسان غريب، وبقي برهة تحت التراب تبكيه الأحباب والأتراب، فأخبرونا يا سخفاء العقول ومنتحلي هذا المحال المنقول - من الذي كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام؟!

وكيف كان حال الوجود والإله في اللحود؟! ومَن الذي دَبَّر السماء والأرض وخلقه فيها بالبسط والقبض والرفع والخفض؟! وهل دُفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أم خذلته / وهربت مع تلاميذه؟ ١/١٥٦/أ

فإن كان قد دفنت بدفنه، فإن قبراً وسع الإله القديم لقبر عظيم، وإن كانت قد فرَّت وأسلمته، فكيف تصح مفارقتها له بعد اتحادها به؟! أين ذهب الاتحاد وكيف بطل الامتزاج؟!

وما شأن هذا الإله المسكين - أسلمه قومه لأعدائه وخذله سائر أودائه[1]؟ أين قولكم في الأمانة (إن المسيح أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء)؟ أين ما وصفتم عن الإنجيل أن العالم بالمسيح كُوِّن؟

---

(١) أي: أحبائه. (ر: القاموس ص ٤١٥).

وقولكم : إن الآب لا يدين أحداً، بل الابن هو الذي يدين الناس[1]، أترونه كان راضياً بما فعل به قادراً على الدفع عن نفسه؟

فإن كان راضياً، فالذي فُعِلَ به كفر، ومذهبكم يأبى ذلك، وكان ينبغي على سياق هذا أن تثنوا على اليهود وتترحموا على يهوذا الأسخريوطي وتصلوا عليهم؛ فإنهم أعانوا على حصول رضاه وسارعوا إلى ما قدَّره وقضاه.

وإن كان ذلك بغير رضاه فاطلبوا إلهاً سواه، فإن من عجز عن حماية حشاشته حتى تم عليه ما نسبتم إليه، كيف ترجون عنده نفعاً أو تؤملون/ لديه ١/١٥٦/ب دفعاً؟! وهذه نقيصة تقتضي تَنَقُّصُ من لصقت به.

فإن قيل: إنما يكون ذلك نقيصة إذا كان المفعول به عاجزاً عن الامتناع والدفاع، فأما المسيح فلو شاء لامتنع من اليهود وأهلك من قصده بأذى من سائر الجنود بل إنما أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداءً عن الناس لينقذهم من الخطيئة ويزيل عنهم درن الذنوب ويطهرهم من التبعات والحوب.

فنقول: لا نسلم ما ذكرتم، إذ كتابكم شاهد عليه بأنه هرب واختفى واستتر من أعدائه مراراً واعتنى وتنقل من مكان إلى مكان، وبذل في طلب السلامة غاية الإمكان، إلى أن دَلَّ عليه رجل من أصحابه فأخذ بغير اختياره وإيثاره.

وهذا شيء لم نسمعه إلا منكم ومن كتابكم، وقد حكيتم أن آخر كلام سمُع منه (إلهي إلهي لم تركتني؟) مع تقدم قوله في دعائه (إلهي إن كان يحسن صرف هذا الكأس فاصرفها عني)، فبطل قولهم في هذا السؤال إنه لو شاء لامتنع وفعل بأعدائه وصنع.

---

(١) هذا هو الأساس الثالث من أسس العقيدة النصرانية المنحرفة، وهو الاعتقاد بأن المسيح سيحاسب الناس يوم القيامة لأنه من أجلهم - كما يزعم النصارى - ، وهذا الأساس مبني على الأساس الثاني الذي تقدم بيانه (ر: ص ٣٧٥).

وأما قولهم: إنهم أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداء عن الناس لينقذهم من
١/١٥٧/١ الخطيئة والبأس، فهذا كلام من الكلام / السخيف، وذلك أنه لايخلو أن يفديهم بنفسه من عقاب نفسه أو عقاب غيره.

فإن كان إنما فداهم من عقاب نفسه، فما حاجته أن يرذل نفسه في أمر هو يملكه وزمامه بيده؟ فهلا عفا عنهم وأعفا نفسه من القتل والإهانة!

وإن كان إنما افتداهم من عقاب غيره فقد صار ضعيفاً عاجزاً لم يمكنه صلاح عباده إلا بأن يشفع لهم، ثم لا تقبل شفاعته حتى يبذل نفسه للصفع والإهانة والموت.

والعجب أنه مع بذل نفسه لهذه المحن لم تقبل شفاعته، ولم يحصل لهم الفداء الذي يدعون، هذا مع أن المشفوع إليه أبوه، أفلم يكن له عند أبيه من الجاه ما يُشَفِّعه في مطلوبه وهو معافى من هذه المحن بلا قتله وصلبه من غير إسعافه بمراده؟

ومثل هذا الفعل لا يصدر إلا من العدو المشاحن وأرباب الحقود والضغائن، ومما يتعجب منه أن هذا الرب الذي تدعون بعد أن تعنَّى ونزل إلى الأرض وحَلَّ به ما وصفتم يبتغي بذلك خلاصكم، لم يحصل لكم خلاصاً ولا تَمَّ له مراد. لأنه إن كان أراد خلاصكم من محن الدنيا فها أنتم باقون على ما
١/١٥٧/ب كنتم / عليه من طبائع البشر وتحمل الضرر ومعالجة الهرم والكبر ومضاجعة الأجداث والحُفر.

وإن كان أراد خلاصكم من عهد التكاليف ليحط عنكم الآثام ويسقط الصلاة والصيام، فها أنتم دائبون على التكليف مخاطبون بالتصحيح والتسويف، وإلا فكان ينبغي أن من زنى منكم وسرق وافترى وفسق لا يؤاخذ

بجريـرة ولا يعاقب على صغيرة ولا كبيرة. وإن كـان أراد خلاصكم مـن أهوال القيامـة وأنكال يوم الطامـة وما يتوجـه على العباد عند قيام الأشهـاد، أكذبكم الإنجيل إذ يقول فيـه: (إني جامع الناس في القيامـة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم خيراً فـاذهبوا إلى النعيم، وأقـول لأهل الشمال: فعلتم شراً فاذهبوا إلى الجحيم)(١).

وإذا لم يحصل لكم بنـزول المسيح خلاص من عقـاب الـدنيا ولا من عـذاب الآخرة، فأين ترجـون الخلاص الذي جاءكم لأجله وفعل بنفسـه ما ذكرتم ثم لم يتم له مراد؟!

وإذا كان ذلك فـاطلبوا الخلاص ممن هـو بيديـه ومُعَوَّل سـائر الخلائق عليه وهو الذي لا إله سواه سبحانه وتعالى عما يشركون.

٤ سؤال: / قال النصارى: إنما استسلم المسيح ليعلمنا الصبر على الشدائد ١/١٥٨/أ فتعظم أجورنا وتجزل مثوباتنا، والمتابعة بالحال أبلغ منها بالمقال.

فنقـول: فما بال أحـدكم لا يجلس في بيته حتـى ينالـه ما وصفتم غير منـازع خصمه ولا مدافع عدوه؟

ومـا بـالكم تقيمـون سـوق الحروب وتبيحـون الغصـوب وتنصبـون القتـال وتسفكون الدمـاء من النساء والرجال؟ فما نـرى التعليم أفادكم خيراً ولا منعكم شراً ولا أكسبكم عِلْماً ولا أنـالكم حِلْماً، وصار ما وصفتـم به ربكم من الإهـانة خالياً عن الفـائدة صفراً من الحكمة. وكيف يحسن منكم إيـراد هذا السؤال مع قولكم عنـه إنه حين نـزل به المكـروه الذي وصفتم، قـال: (إلهي إن كان يمكن صرف هذا الكأس عني فاصرفه عني) وهـذا القول منه إن صح عنه يكذبكم في قولكم إنه استسلم وألقى بيديه لقصد تعليمكم وتقويمكم.

(١) متى ٢٥/ ٣١ - ٤٦.

٥ سؤال: قال النصارى: إنما يكون القتل نقيصة لو أنه مضاف إلى لاهوت المسيح، ونحن لا نعتقد ذلك؛ وإنما القتل والضرب والصلب مضاف إلى ناسوت / المسيح دون لاهوته. ١/١٥٨/ب

فنقول: يمتنع ذلك على اليعقوبية[١] منكم القائلين بأن المسيح قد صار بالاتحاد طبيعة واحدة، إذ الطبيعة الواحدة لم يبق فيها ناسوت متميز عن لاهوت حتى يخص بالقتل والإهانة بل قالوا: إنه صار شيئاً واحداً، والشيء الواحد لا يقال إنه مات ولم يمت، وقتل ولم يقتل، وأهين ولم يهن.

وأما الروم[٢] وغيرهم القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعتين، فيقال لهم: هل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل والصلب؟

فإن زعموا أنه فارقه أبطلوا دين النصرانية جملة، إذ بطل الاتحاد ولم يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد، فإذا حكموا بأن الإله قد تجرد عن الإنسان وفارقه فقد بطلت ربوبية المسيح في ذلك الزمان.

وإن قالوا: لم يفارقه، فقد التزموا ما ورد على اليعقوبية، وهو كون اللاهوت قتل بقتل الناسوت وأهين بإهانته.

وإن فسروا الاتحاد بالتَّدَرُّع، وهو أن الإله جعله درعاً ومسكناً له وبيتاً[٣]، ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت أبطلوا ألوهية المسيح في تيك الحال.

وقلنا لهم: أليس / قد امتهن الناسوت وأهين وأرذل؟! وهذا القدر يكفي في إثبات النقيصة إذ لم يأنف لمحله وسكنه ودرعه أن تناله هذه النقائص، وإن الإنسان ليركب دابة ويلبس ثوباً فيصونه عن الأذى والقذى أن يناله. ١/١٥٩/أ

---

(١) فرقة من فرق النصارى الكبيرة وسيأتي الحديث عنها.

(٢) وهم طائفة الملكية من فرق النصارى الكبيرة.

(٣) هذا القول هو مذهب طائفة النسطورية، من فرق النصارى الكبيرة.

ثم إن كان الـلاهوت قـادراً على دفع النقائص عن محلـه ومسكنه ثم لم يفعل فقد أسـاء مجاورته ورضي بـدخول النقص على مـوضعه، وذلك عـائد بالنقص عليه في نفسـه. وإن لم يكن قادراً، فذلك أبعـد له عن عِـزِّ الربوبيـة وأقرب إلى ذل العبودية.

٦ سؤال: فإن قال النصارى: كيف يجوز إلقاء الشبه - وهو ضلال - ؟ وإذا كان الله تعـالى هو الذي أضل عباده فلا معنـى لإرسال الرسل إليهم، بل يكون ظـالماً للرسل إذا بعثهم إلى مـن يكذبهم أقوالهم ويَـرُدُّ، وكيف يستقيم أن يرسل رسلاً يهدون العباد مِن كُفْرٍ وهو الذي زينه لهم؟!

قلنـا: الانفصـال عن هـذا السـؤال في التـوراة والإنجيل، أمـا التـوراة فإنها مصرحة بأن اللـه قد قَسَّى قلب فرعـون فلم يؤمن بمـوسى (فقال الله فيهـا: يا مـوسى اذهب إلى فـرعون / وقل لـه: يقـول لك إلـه بني إسرائيل أرسل شعبي ١/١٥٩/ب تتعبـد لي، وأنا أُقَسِّي قلب فـرعـون فلا يـرسلهم)(١)، وفي التوراة (إن كـل آية صنعها موسى بمصر قد صنع السحرة مثلها)(٢).

وأما الإنجيل فقـال: (قال يسـوع: إني ذاهب إلى أورشليم لأقتل وأصلب، فقال له بطرس: حاشاك من هذا، فانتهره وقال: إني جئت لهذا)(٣).

فقـد علم الكفـر وأراده وتعنَّى بسببـه، وقـدر على كف اليهـود وتـركهم على كفرهم فلم يكففهم.

---

(١) سفر الخروج: ٤/ ٢١.
(٢) سفر الخروج: ٧/ ١١.
(٣) متى ١٦/ ٢١ - ٢٣.

وقد قال يسوع في الإنجيل: (الويل لذلك الإنسان الذي يسلِّم ابن الإنسان خير له لو لم يولد)(١).

وإذا كان هذا جائزاً عند النصارى واليهود جميعاً(٢)، فكيف يمنعون أن يصون الله نبيه المسيح عن قوم يريدون قتله ويلقي شبهه على رجل آخر قد حضر أجله يجعله له جُنَّةً ويثيب ذلك الرجل عن صبره الجنة؟!

على أنَّا نقول: ليس في إلقاء الشبه ضلال كما زعم مورد السؤال، إذ ليس الإلقاء هو الذي بعثهم على القتل، بل ما جاؤوا إلى المسيح إلا وهم قد أجمعوا على الفتك به، وبهذا القصد كفروا، وإنما كان / الإلقاء لتخليص المسيح من أيديهم، وهذا خلاص من الضلال لا إضلال. ١/٦٠أ

وإنما كان يكون تضليلاً لو كان الله أمرهم بقتل المسيح، ثم ألقى شبهه على آخر فقتلوه، وأما إذ نهوا عن القتل فخالفوا وجاروا ليقتلوا، فحال بينهم وبين المسيح. وإلقاء شبهه على غيره، أو أباح لهم من يشبهه في الصورة، فلا يقال لهذا القبيل تضليل.

---

(١) مرقس ١٤ / ٢١.

(٢) يقول ابن القيم: وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأن الهدى والضلالة بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه. أ. هـ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم بعد هذا مراتب الهدى والضلال في القرآن الكريم، وتكلم على كل منها، وبين ما بينها من الخصوص والعموم وأطال في ذلك. (ر: شفاء العليل ص ١٤٢ - ١٨٢).

ثم ولـو قـدَّرنا ذلك تضليـلاً، فمـذهب أهل الحق أن اللـه يفعل مـا يريـد ويضل من يشـاء من العبيد، ولا ينسب إلى ظلم ولا جـور إذ له بحق ملكـه - وملك حقـه - أن يفعل ما أراد، فـلا يجب عليه شيء ولا يتـوجه لمخلـوق عليه حق، وكل مـا يفعل فهو حسن، وكل مـا يوصلـه من خير فهو ابتـداء فضل، وكل ما يبتلي به من ضر فهو قضاء عدل.

وقـد زَلَّ وهفـا من أوجب على اللـه ثـواب المحسنين أو عقـاب المسيئين [إذ لا][1] يجب على رب الأرباب ثواب أو عقاب[2].

---

(١) في ص: (انا)، والتصويب من المحقق، والزيادة يقتضيها السياق.

(٢) إن مسألـة الـوجوب على اللـه أو (هل يجب على اللـه تعـالى شيء؟) قد سلـك فيها كل من المعتـزلـة والأشاعرة طـريقين كلاهما خطأ، ولم يوفقوا لطـريق الحق الذي دل عليه الكتاب والسنـة، وتوضيح ذلك:

١- ان المعتزلة أفرطـوا في تمجيد العقل، حتى أوجبوا بمقتضاه على الله تعالى أموراً وحـرموا عليه أموراً أخـرى، ووضعوا للـه شريعة التعـديل والتجـوير، فهم بـذلك شبهـوا الخالق بالمخلـوق. (ر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٣٢، والمجموع المحيط بالتكليف لابن منتويه ص ٢٣٤).

٢- أما الأشاعـرة فقد أخطأوا في إطلاقهم القول بنفي الـوجوب في حقه تعالى، فلم ينـزهوه عن فعل شيء، بنـاء منهم على نفي التحسين والتقبيح العقليين، وقالـوا: إن الوجـوب لا يتصور في حقـه، لأنه المالك المتصرف ولا يسأل عما يفعل، ونسوا أنه لا يسأل لكمال حكمته.

(ر: محصل أفكـار المتقـدمين والمتـأخيرن للـرازي ص ١٤٧، ١٤٨، المواقف لـلأيجي ص ٣٢٨، ٣٢٩، والتبصير في الدين للإسفراييني ص ٦٨).

٣- وأما أهل السنـة والجماعة - الفـريق الوسط - فهم الذين منعـوا أن يوجب العقل على اللـه تعالى شيئاً، ولم يمنعـوا أن يوجب الله على نفسه بعض الأمـور التي يقتضيها كماله والتي أخبر أنـه أوجبها على نفسه كما قال تعالى: ﴿**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ سورة الأنعام/ ٥٤.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: (إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتـابـاً، فهـو مـوضوع عنـده فـوق العـرش أن رحمتي تغلب غضبي) أخـرجـه البخـاري. (ر: فتح ١٣/ ٤٠٤) ولا يلزم من كونه تعالى أوجب على نفسـه بعض الأمور أن يكون فاعلاً بالإيجاب - أي لا اختيار لـه - لأنه سبحـانه أوجبـه على نفسه بـاختياره، فإذا شـاء الحسن واختاره لم يكن ذلك نـافيا للاختيار، فاختياره وإرادته اقتضت التعلق بما كـان حسنا على وجه اللزوم فكيف لا يكون مختاراً. (ر: مدارج السالكين ١/ ٦٦، ٢/ ٣٣٨، شفاء العليل لابن القيم ص١٧٩، والحكمة والتعليل في أفعـال الله تعـالى . د . محمـد ربيع المدخلي ص ١١٠ - ١١١). وبُيِّن شيخ الإسلام ابن تيميـة - رحمه الله - موقف السلف في هذه المسألة بقوله: (وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، ==

وقد شهد أهل الكتاب واعترفوا بأن الله تعالى هو الذي نفخ الروح في العجل حتى عبده بنو إسرائيل، وقد قال الله تعالى: ﴿**قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً**﴾(١).

١/١٦٠/ب وعيسى / وأمه لا جُرْم لهما، فأخبر تعالى أنه لو أهلكهما لم يكن ممنوعاً من ذلك ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾(٢).

٧ سؤال: قال النصارى: شهد كتابكم ونبيكم بأن المسيح عيسى بن مريم هو كلمة الله، والكلمة عندنا وعندكم قديمة كالكلام.

==

والتحريم بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية - أي المعتزلة - وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول.

وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً.

ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه الرحمة، وحرّم الظلم على نفسه، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح) أ. هـ.

(ر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص٤٠٩، ٤١٠).

(١) سورة المائدة/ ١٧.

(٢) سورة الأنبياء/ ٢٣.

قلنا : لا نزاع في تسميته عليه السلام (كلمة)[1] كما سمي إبراهيم خليلا[2] وموسى كليما[3]، والتسميات لا حجر فيها، وإذ وافقناكم على تسمية المسيح كلمة، فمن أين لكم قِدَمُهَا؟ وبم تنكرون على من يزعم أن الكلمة عبارة عن الآية؟

والآيات تسمى كلمات، وهو المعنى بقوله ﴿**ما نفدت كلمات الله**﴾[4] يعني آياته ومصنوعاته، وقد قال الله تعالى: ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية . .**﴾[5] وقال ﴿**وجعلناها وابنها آية للعالمين**﴾[6] فهذا وجه.

ووجه آخر: وهو أن نقول: المعنى بالقاء الكلمة إلى مريم تكوين المسيح من غير نطفة فحل، والمقصود أن الله اخترعه وكَوَّنه من غير تناسل معروف وقال له: كن، فكان. إذ كل أمر اتصل بمأمور فهو ملقى إليه.

---

(٢) سورة الأنبياء / ٢٣ .

(١) قال تعالى: ﴿**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين**﴾ سورة آل عمران / ٤٥ . وقال تعالى: ﴿**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله . . . . .**﴾ الآية - سورة النساء/ ١٧١ .

قال ابن كثير في تفسيره ١/ ٦٠٣ : إنما المسيح عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل فكان عيسى بإذنه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم، والجميع مخلوق لله عز وجل، ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه، لأنه لم يكن له أب تولد منه إنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال لها بها: كن فكان . أ . هـ.

(٢) قال تعالى: ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾. سورة النساء / ١٢٥ .

(٣) قال تعالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾. سورة النساء/ ١٦٤ .

(٤) قال تعالى: ﴿**ولو أنَّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدُّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم**﴾ سورة لقمان/ ٢٧، قال قتادة: أي لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفذ عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه. (ر: تفسير ابن كثير/ ٤٦٠).

(٥) سورة المؤمنون/ (٥٠).

(٦) سورة الأنبياء / ٩١ .

وسمي المسيح كلمة لقول لوقا في إنجيله (إن جبريل قال لمريم: السلام عليك أيتها المباركة / في النساء إنك تحبلين بولد يسمى المسيح يجلسه الرب على كرسي أبيه داود)(١) فعندها حملت مريم بالمسيح؛ أي عند هذه الكلمة فسمي المسيح بها كما يُسمَّى الشيء بما يلازمه عادة، فكان المسيح (كلمة) بهذا الاعتبار لا كما اعتقد جهلة النصارى من انقلاب الكلمة الأزلية جسداً ذا شعر وظفر. ١/١٦١/أ

٨ سؤال: قال النصارى: أليس في كتابكم معشر المسلمين ﴿**ونفخنا فيه من روحنا**﴾(٢) فما تأويل ذلك غير ما ذهبنا اليه؟!

والجواب: أنا نقول: هذا لا يفيدكم شيئاً في مطلوبكم؛ إذ ليس اعتقاد أحد منكم أن روح الأب اتحد بالمسيح، وإنما الذي اتحد به هو العلم. وقد قلنا: ان الروح ترد على معاني شتى منها: أن ترد والمراد بها الوحي كقوله ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾(٣).

وترد والمراد بها جبريل وهو المعني بقوله تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين**﴾(٤).

وترد والمراد بها ملك كبير يقوم يوم القيامة صفاً وحده والملائكة كلها صفاً آخر.

وترد والمراد بها أرواح الأشخاص وهو المعني بقوله: ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾(٥)، وإذا كان اللفظ متردداً / بين معاني كثيرة فلا يسوغ التمسك به إلا مع اقترانه بما يفسره، وكل مفتقر للتفسير فلا وجه للاستدلال بظاهره. ١/١٦١/ب

---

(١) لوقا ١٪ ٣٠-٣٣.
(٢) سورة التحريم / ١٢.
(٣) سورة الشورى / ٥٢.
(٤) سورة الشعراء / ١٩٣.
(٥) سورة الاسراء / ٨٥.

فالمسيح سمَّاه الله (روحا) كتسمية جبريل روحا، وقد قلنا: إن الشيء قد يسمى بما يلازمه، فالله تعالى نفخ في مريم بواسطة جبريل وهو المعني بقول لوقا في إنجيله (روح القدس تحل عليك)(١)، وقد قالت التوراة: (إن روح الله حال في يوسف)(٢) وذلك كناية عن العلم والحكمة.

وفي التوارة (أن بصلئيل رجل من سبط يهوذا ورجل آخر من سبط دان قد ملأتهما روح القدس)(٣) وفي التوراة (أن يوشع امتلأ من روح القدس لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه)(٤).

وفي كتاب الأسباط(٥) (أن روح الله لبست جدعون)(٦)، وفي كتاب شمويال(٧) (أن روح الله تكلمت على لساني)(٨)، وفي كتاب حزقيال يقول: (رأيت قدوس الله فوقعت فدخلت فِيَّ الروح فأقامتني)(٩).

---

(١) لوقا ١/ ٣٥.

(٢) سفر التكوين ٤١/ ٣٨.

(٣) سفر الخروج ٣١/ ١-٣.

(٤) سفر التثنية ٣٤/ ٩.

(٥) كتاب الأسباط هو سفر القضاة: نسبة إلى فترة من تاريخ بني إسرائيل كان القضاة هم الذين تولوا شؤون الحكم في بني إسرئيل بعد استيلائهم على بلاد كنعان بقيادة يوشع بن نون، وعدد إصحاحاته (٢١) إصحاحاً، وموضوعه: تاريخ بني إسرائيل من قبل موت يوشع إلى آخر أيام شمشون.
أما مؤلف هذا السفر: فإنه لا يعرف على التحقيق، ويظن أنه صموئيل النبي، قال تعالى: ﴿**ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ سورة النجم/ ٢٨. (ر: قاموس ص ٧٣٧، مقدمة الكتاب المقدس بالإنجليزية، طبعة سنة ١٩٧١م، وهي التي يطلق عليها النسخة القياسية المنقحة R.S.V، رسالة في اللاهوت ص ٢٧٥، سبينوزا).

(٦) سفر القضاة ٦/ ٣٤، وجدعون: هو ابن يوآش، أحد قضاة بني إسرائيل، ويزعمون أن ملاك الرب قد دعاه ليخلص شعبه من المديانيين والوثنيين، وليهدم مذبح البعل الذي كان يعبده قومه. (ر: سفر القضاة الإصحاحات (٦، ٧، ٨) قاموس ص ٢٥٢).

(٧) كتاب شمويال هو سفر صموئيل، وصموئيل معناه (اسم الله) وهو في العهد القديم من الأنبياء وآخر القضاة في بني إسرائيل، وقد أمره الله أن يمسح شاؤل ملكاً على بني إسرائيل، وينسب إليه سفران باسمه، وكانا في الأصل سفراً واحداً وتمَّ تقسيمه إلى جزئين في طبعة البندقية ١٥١٦ -

==

وفي إنجيل لـوقا (إن يـوحنا المعمـداني امتـلأ من روح القدس وهـو في بطن أمه)(١).

وقال لـوقا في إنجيلـه: (كان في بيت المقـدس رجل يقـال له سمعـان ينتظر عزاء إسرائيل / وروح القدس كانت تحل عليه)(٢).

١/١٦٢/أ وقال يوحنا التلميذ في إنجيله: (كل إنسان لا يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت الله)(٣).

وقال فـولس في رسالته الأولى لإخـوانه: (أولا تعلمون أنكم هيـاكل الله وأن روح الله حال فيكم، ومن يفسد هيكل الله يفسده الله)(٤).

وذلك كله دليل على مساواة المسيح غيره من الأنبيـاء والأولياء في حلول هذه الروح التي هي إما الملك، أو العلم والحكمة.

فما أجاب بـه النصارى عن حلول الروح على مـن ذكرنا وامتلائهم منهـا فهو جواب لنا عن قول جبريل لمريم (روح القدس تحل عليك)(٥).

==

١٥١٧م من النسخة السبعينية، وعدد إصحاحـات السفر الأول (٣١) والثاني (٢٤) إصحاحا. أما مؤلف السفر الأول والثـاني فهو مجهول ويقول سبينوزا: لم يكتب صموئيل سفـره، لأن الرواية تمتد إلى ما بعـد موتـه بقرون عـديدة. (ر: رسالـة في اللاهـوت ص ٢٧٥، قامـوس ص ٥٥٢ وما بعـدها، مقدمة الكتاب المقدس، ط سنة ١٩٧١م بالإنجليزية).

(٨) سفر صموئيل الأول ١٠/ ١٠.

(٩) سفر حزقيال ٣/ ٢٣, ٢٤.

(١) لوقا ١/ ٤١.

(٢) لوقا ٢/ ٢٥.

(٣) يوحنا ٣/ ٣.

(٤) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٦/ ١٦, ١٧.

(٥) تقدم الحديث عن معاني كلمة (الروح). (ر: ص١٢٥).

٩ سؤال: قال النصارى: قال يسوع لمقعد قد غفرت لك[١]، وذلك دليل ربوبية إذا لا يغفر الذنوب إلا الله.

والجواب: هو أنا نقول: ليس كذلك لفظ الإنجيل؛ وإنما قال له: مغفورة لك خطاياك. أخبره عن الله بغفر خطاياه لصبره على بلواه وسكونه تحت مجاري قدر مولاه، ثم ولو سلمنا ورود هذه اللفظة بعينها على ما حرفها السائل فليس فيها مستروح لما يحاول، إذ يحتمل أن يكون / ذلك المقعد من جملة من ١/١٦٢/ب
كان يؤذي المسيح مع اليهود ويقول فيه كقولهم، فلما رآه المسيح وشاهد بلاه رَقَّ له وحنى عليه فقال له: قد غفرت لك، يريد حللتك. والدليل عليه قول بطرس في الإنجيل للمسيح: (يا أبت، إلى كم أغفر لأخي إذا أخطأ إِلَيَّ إلى سبع مرات؟ قال: لست أقول إلى سبع مرات فقط بل إلى سبعين مرة سبع مرات)[٢].

وهذه أكابرهم اليوم يفعلون ذلك ويغفرون لمن أرادوا حط ذنوبه، وليس فيهم من يعتقد خروجه عن ربقة العبودية[٣].

وقد ذكر الإنجيل (أن اليهود ومن حضر يسوع أنكروا عليه هذه الكلمة، فقال: ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جعل له أن يغفر الخطايا)[٤].

فصرّح في هذا القول بأنه عبد مخلوق، جعل الله له أن يخبر عباده بغفر خطاياهم لإيمانهم به وتصديقهم له.

---

(١) متى ٩/ ٢ (٢) متى ١٨/ ٢١، ٢٢.

(٣) إن تجرؤ قساوسة الكنيسة على ادعائهم غفران خطايا النصارى يعتبر سراً من أسرار الكنيسة السبعة، ويُسمَّى (سر الاعتراف وغفران الذنوب)، وقد قررته الكنيسة حقاً لنفسها في المجمع الثاني عشر (الإيتراني الرابع) سنة ١٢١٥م، وتمادت في ذلك إلى أن أصدرت الكنيسة (صكوك الغفران) لاستغلال النصارى وجمع الأموال للكنيسة وقساوستها، وقد كانت مسألة غفران الذنوب من أبرز الأسباب التي دعت إلى ظهور حركة الإصلاح الكنسي وظهور فرقة البروتستانت.

(٤) متى ٩/ ٣ - ٦.

وقد قال مرقس في إنجيله: (قال يسوع لتلاميذه: إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة، لكيما يغفر لكم ربكم خطاياكم)(١).

١/١٦٣/أ وقالت التوراة في السفر الخامس منها: (يا موسى ارحل أنت وبنو / إسرائيل، وأنا أرسل معكم ملكاً يغفر لكم خطاياكم)(٢) أضاف الغفران إلى المَلَك وهو عبد من عبيد الله تعالى.

وقالت التورا ة: (إن إخوة يوسف دنوا لتقبيل رجليه، فلم يدعهم، فاعترفوا له بذنوبهم فغفر لهم)(٣)، فقول المسيح للرجل: قد غفرت لك، معناه: قد حاللتك أو قد شفعت لك.

وقال فولس في آخر الرسالة الخامسة - وهو يوصي بالبر واللطف - (وأنتم أيها الأرباب اغفروا ذنوب مماليككم؛ لأن ربكم في السماء وليس عنده هوادة)(٤).

١٠ سؤال: قال النصارى: قال يوحنا المعمداني حين رأى المسيح: (هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم)(٥)، فشهد وهو نبي صادق بأن المسيح سيقتل ويصلب قرباناً عن خطيئة آدم.

والجواب: أن هذا السؤال دال على عدم فهم مورده وسوء بصيرته بالإنجيل، وذلك أن يوحنا أورد هذا الكلام شهادة للمسيح بالنبوة والرسالة أسوة غيره من الأنبياء في حملهم خطايا قومهم بما يرشدونهم إليه من الإيمان

---

(١) مرقس ١١/ ٢٥، ٢٦.

(٢) سفر الخروج ٢٣/ ٢٣، ٣٢/ ٣٤.

(٣) لم أجد في النسخة التي بيدي في التوراة اليونانية والسامرية النص الذي ذكره المؤلف، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى في حكاية يوسف مع أخوته ﴿**قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين. قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**﴾ سورة يوسف/ ٩١، ٩٢.

(٤) رسالته إلى أهل أفسس ٦/ ٩.

(٥) يوحنا ١/ ٢٩، ٣٠.

والمغفرة بـالله سبحانـه/ ، وقد كان المعمـداني يتصل به ما يهتف بـه اليهود من ١/١٦٣/ب
قذف المسيـح وقذف والـدته الطاهـرة، ويبلغه قـول اليهود: إنـه لن يجيء من الجليل والنـاصرة نبي[١]، فلما وقع بصره على المسيح وعـرفـه بتعريف اللـه لـه قال: هذا الـذي به يحط الله خطايا عـالم زمانه. والدليل عليـه: بقية الكلام إذ قال يـوحنا: (هذا الـذي قلت لكم إنه يأتي بعـدي، وهو أقوى مني، وأنـا فلا استحق أن أحل سيور حـذائه ولا أصلح أجلس مقعد خفه ، وهو الـذي بيده الـرفش ينقي بيـدره فيجمع الغلــة إلى إهـرائه، ويحرق الأتبـان بـالنـار التي لا تطفئ)[٢].

فقد أفـادنا قول المعمداني هـذا معاني شتى في شأن المسيح، منها: تسـويته المسيح مع سـائر بني إسرائيل في جعلـه خــروفـاً، قـال المسيح في إنجيلـه: (إني إنما أرسلت للخراف الضالة من بني إسرائيل)[٣] سمَّى الناس خرافاً ، وسماه المعمـداني خروفاً من غير تفـرقـة بينه وبين غيره، وكـذلك قـال المسيح: (أنـا الـراعي الصالح وأنـا عـارف برعيتي)[٤].

ومنها: أن المعمداني شهد / بأن المسيح عبد اللـه، وأضافه إليه إضافة ملك ١/١٦٤/أ
فقـال: هذا خـروف الله، وقـال مرة أخـرى: هذا حمل اللـه، فشهد بأن اللـه مـالكـه، ولم يقل المعمـداني حين رأى المسيح : هـذا هـو اللـه ــ كما يهذي بـه طوائف من النصارى. ولا قـال: هذا الإنسان الذي اتحد اللـه به أو سكن الله في إهابه واتخذه له نزلاً ومسكناً ـ كما افتراه متأخرو النصارى.

---

(٢) يوحنا ١/ ٤٦.
(٣) يوحنا ١/ ٢٩، ٣٠.
(٤) متى ١٠/ ٦.
(٥) يوحنا ١٠/ ١٤.

وفي ذلك تكذيب للأمانة وإظهار لفسادها ومراغمة لمن عقدها حيث يقولون فيها (إن المسيح إله حق، بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء، وإنه خالق غير مخلوق).

الويل لهم، أَهُم أعلم بالمسيح وأعرف من نبي الله يحيى بن زكريا الذي شهد المسيح (بأن النساء لم تلد مثله)[1]، فيوحنا هذا النبي عليه السلام إنما بعثه الله على زعم النصارى ليشهد للمسيح، وها هو يشهد بأن المسيح خروف وأن الله مالكه، وأنه يأتي بعده يعمد الناس ويستتيبهم كما كان يحيى بن زكريا يفعل غير أنه أقوى منه، وهذا قد يقول ذوو الورع والتقوى تورعا وخوفا من السلب بالإعجاب/ ، ولا يلزم أن يكون القائل لذلك دون المقول له فلم يزل الصالحون يعتمدون ذلك. ١/١٦٤/ب

وقد شهد يوحنا بنبوة المسيح صريحاً إذ يقول: إنه يجمع الصلحاء إلى ملته والأبرار ويبعد الكفار إلى النار، فقد وضح أنه ليس في كلام المعمداني ما يدل على انتحال الضلال. وإلا فما أحسن رباً له حذاء ينتعله وخف يقي رجليه !! أعوذ بالله من العمى وتنكب الهدى.

١١ سؤال: وهو معضلات النصارى، قال النصارى: قال يسوع: (أنا بأبي، وأبي بي)[2] قالوا: هذا تصريح من المسيح بأنه متحد بالله، والله متحد به.

والجواب: في قول يوحنا التلميذ في الفصل السادس عشر من إنجيله، قال يوحنا: (تضرع المسيح إلى الله في تلاميذه فقال: أيها القدوس احفظهم

---

(١) متى ١١/ ١١.
(٢) يوحنا ١٤/ ١٠، ١١.

باسمك ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد، قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ليكونوا شيئاً واحداً، فأنا بهم وأنت بي)[1].

وتأويل ذلك: أنت يا إلهي معي وأنت لي، وأنا أيضاً مع أصحابي وأنا لهم، وكما أنك / أرسلتني لأدعو عبادك إلى توحيدك فكذلك أرسلتهم ليدعوا إليك، ١/١٦٥أ فكن لهم كما كنت لي، فإن عُدِل عن هذا التأويل لزم منه المحال: وهو أن يكون قوام الله وثبوت ربوبيته برجل من خلقه، ويلزم منه محال آخر: وهو أن يكون الباري وعبد من عبيده متداخلين، ويلزم منه محال آخر: وهو أن يكون التلاميذ متداخلين مع المسيح ويكون المسيح متداخلاً معهم[2].

فإن التزمه النصارى قيل لهم: فالله إذاً حالّ في التلاميذ والتلاميذ حالُّون في الله - تعالى الله عن هذيان النصارى علواً كبيراً.

وقد قال فولس - وهو يعظ بعض إخوانه ويحذره من الزنى -: (أما علمتم أن أجسادكم أعضاء للمسيح، فيعمد أحدكم إلى عضو من المسيح فيجعله عضواً للزانية؛ لأن من يصحب الزانية يصير معها جسداً واحداً، والذي يصحب سيدنا المسيح يصير معه روحاً واحداً)[3].

وذلك يفسد على النصارى سؤالهم.

١٢ سؤال ثاني: من المعضلات قال النصارى: قال يوحنا التلميذ في الفصل / ١/١٦٥/ب الثالث عشر من إنجيله: (من رآني فقد رأى أبي فأنا وأبي واحد)[4].

---

(١) يوحنا ١٧/ ١١ -٢٣.

(٢) ورد هذا الجواب أيضا في النصيحة الإيمانية للمهتدي نصر بن يحيى المتطبب ص ١٧٤.

(٣) رسالته الأولى إلى كورنثوس ٦/ ١٥ -١٧.

(٤) يوحنا ١٤/ ٩ -١١، ١٠/ ٣٠.

والجواب: أن له وجوهاً من التأويل:

أحدها ـ إنه قد اعترف في الإنجيل في غير موضع أنه رسول من الله إلى عباد الله، ولا شك أن رسول الملِك إذا توجه إلى قطر فأبدى بعض الرعية شماسا[1] عن الامتثال فيحسن منه أن يقول: أنا ومن أرسلني واحد، ومن رآني فقد رأى من أرسلني، ومن بايعني أو عاهدني فقد بايع وعاهد من أرسلني وحصل له العصمة والذمام، وذلك غير مستنكر من الرسل والنواب والوكلاء ومن ندب لسفارة ووساطة بين اثنين أو جماعة، ومنه قول الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾[2].

- الوجه الثاني - أن رؤية الصنعة تدل على صانعها، إذ لا يتصور بناء محكم متقن إلا ببانٍ حكيم متقن، وكلما جَلَّت الصنعة دلت على جلال صانعها، والمسيح لما بهر الناس بما صدر على يديه من العجائب ورأى التفاتهم إليه / ١/١٦٦/ب واشتغالهم به فأحب رفع هممهم إلى الله الذي هو أعلى وأجل وأحكم من كل حكيم، وقد قال في إنجيله: (أبي أعظم مني)[3] وقال له إنسان: يا معلم صالح (فقال: لا تقل لي صالحاً، لا صالح إلا الله وحده).

---

(١) أي امتناعاً وإباء. (ر: القاموس ص ٧١٢).
(٢) سورة الفتح/ ١٠.
(٣) يوحنا ١٤/ ٢٨.

الوجه الثالث - المسيح كان عبراني اللسان، والعبرانيون يعتقدون قول التوراة في السفر الأول منها (أن الله خلق آدم يشبهه)(١) قولاً صحيحاً، فخاطبهم المسيح بما يفهمون، وإنما أرادت التوراة: أن الله حي عالم قادر، وقد أعطي آدم هذه الصفات من الحياة والعلم والقدرة، فكأنه يقول من رآني فقد رأى آدم، ومن رأى آدم فقد رأى الله، فحذف الواسطة.

---

(١) سفر التكوين ١/ ٢٦، ٢٧ ونصه (وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) قال الإمام ابن تيمية: إن لفظ التوراة (نصنع آدم كصورتنا وشبهنا) وبعضهم يترجمه (نخلق بشراً على صورتنا شبهنا) والمعنى واحد، وهو كما قال النبيﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» (أخرجه البخاري (ر: فتح ٨/ ٤٣). ومسلم ٤/ ٢١٨٣، وأحمد ٢/ ٣١٥)، وفي رواية «على صورة الرحمن» (أخرجه ابن أبي عاصم في السنة —/ ٢٢٨، ٢٢٩، والأجري في الشريعة ص ٣١٥، والبيهقي في الصفات ص٢٩١ وصححه الإمامان أحمد وابن راهويه (ر: نقض التأسيس ٢/ ١٣٣، ١٤٠. المخطوط) - ثم قال - إن شبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه، وذلك لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع. وإذا قيل: هذا حي عليم قدير، وهذا حي عليم قدير، فتشابها في مسمى الحي والعليم والقدير، لم يوجب ذلك أن يكون هذا المسمى مماثلاً لهذا المسمى فيما يجب ويجوز ويمتنع، بل هنا ثلاثة أشياء: أحدها: القدر المشترك الذي تشابها فيه، وهو معنى كلي لا يختص به أحدهما، ولا يوجد كليٌ عامٌ مشترك إلا في علم العالِمْ.

والثاني: ما يختص به هذا، كما يختص الرب به من الحياة والعلم والقدرة. والثالث: ما يختص به العبد من الحياة والعلم والقدرة. فما اختص به الرب عز وجل لا يشركه فيه العبد، ولا يجوز عليه شيء من النقائص التي تجوز على صفات العبد، وما يختص به العبد لا يشركه فيه الرب، ولا يستحق شيئاً من صفات الكمال التي يختص بها الرب عز وجل. وأما القدر المشترك كالمعنى الكلي الثابت في ذهن الإنسان فهذا لا يستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق، فالاشتراك فيه غير محذور.

ولفظ التوراة فيه (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهنا) لم يقل: على مثالنا، وهو كقول النبيﷺ في الحديث الصحيح: «لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته»، فلم تذكر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كموسى ومحمدصلى الله عليهما وسلم إلا لفظة (شبه) دون لفظ (مثل).

وقد تنازع الناس: هل لفظ الشبه والمثل بمعنى واحد أو معنيين؟ على قولين: أحدهما: أنهما بمعنى واحد، وأن ما دلّ عليه لفظ المثل مطلقاً ومقيداً يدلُّ عليه لفظ الشبه، وهذا قول طائفة من النظار.

والثاني: أن معناهما مختلف عند الإطلاق لغةً وشرعاً وعقلاً، وإن كان مع التقييد والقرينة يراد بأحدهما ما يراد بالآخر، وهذا قول أكثر الناس. فإن العقل يعلم أن الأعراض مثل الألوان تشتبه في كونها ألواناً مع أن السواد ليس مثل البياض، ومعلوم في اللغة أن يقال: هذا يشبه هذا وفيه شبه ==

فإن عدلوا عن من هذا التأويل لزمهم أن يكون اليهود وسائر الكفار والحمير والكلاب قد رأوا اللـه، وأكذبوا التوراة والإنجيل إذ يقول: (إن اللـه لم يره أحد قط)(١).

١٣ سؤال ثالث وهو من المعضلات: حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: (لا يصعد إلى السماء إلا من / نزل من السماء)(٢). ١/١٦٦/ب

والجواب: من وجوه - أحدها - أنـه أشار إلى زاكي الأعمال وهي التي نزلت بالوحي مع الملائكة، وكأنه يقول: لا يصعـد من الأعمال إلا ما كان خالصاً قد أُريد به وجه الله. قال الله تعالى: ﴿**لا تفتَّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنـة**﴾(٣) وقـال سبحـانـه ﴿**إليـه يصعـد الكلم الطيب والعمل الصـالح يرفعه**﴾(٤).

الوجـه الثاني - أنـه لا يبادر إلى سمـو الأخلاق والأعمال والأحـوال إلا من له سمو وهِمَّة مثل الحواريين الـذي أجابوا داعي المسيح من غير تقدم رؤيـة آية بل قال لهم: (دعوا الدنيا واتبعوني ففعلوا)(٥).

== من هذا، إذ أشبهه من بعض الوجوه، وإن كان مخالفاً له في الحقيقة. وقال تعالى: ﴿**وقال الـذين لا يعلمون لولا يكلمنا اللـه أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهـم مثل قولهم تشابهت قلوبهم**﴾سورة البقرة/ ١٨٨، فوَصَفَ القولين بالتماثل، والقلوب بالتشابه لا بالتماثل، فإن القلوب وإن اشتركت في هـذا القـول فهي مختلفة لا متماثلـة. (ر: للتـوسع الجواب الصحيح ٢/ ٢٣١ - ٢٣٤، شرح كتـاب التوحيـد ٢/ ٢٩-٩٨ للشيخ الغنيمان، وعقيدة أهل الرحمن في خلق آدم على صـورة الرحمن - للشيخ حمود التويجري، نقض أساس التقديس ٢/ ١٣٣-١٤٢ للإمام ابن تيميه).

(١) يوحنا ١/ ١٨.

(٢) يوحنا ٣/ ١٣.

(٣) قال تعالى: ﴿**إن الذين كذبوا بآيتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين**﴾ سورة الأعراف/ ٤٠.

(٤) سورة فاطر / ١٠.

(٥) متى ٤/ ١٨ - ٢٢ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف بالمعنى مختصراً.

والوجه الثالث - أنه أشار إلى الأرواح الطاهرة السماوية التي تنام على طهارة يؤذن لها فتعرج وتسرح ثم تعود فإذا فارقت الجسد صعدت، وأما أرواح الكفار والفجار فلا تصعد وإذا فارقت الجسد أودعت في الأرض السفلي؛ لأنها لم تنزل من السماء.

فإن عدلوا عن هذه الوجوه وأجروه على ظاهره، قلنا لهم: فقد صعد إلى السماء / من لم ينزل منها وهو إدريس الذي يسمونه خنوخ(١). ١/١٦٧/أ

وناسوت المسيح أيضاً لم ينزل من السماء وقد صعد إلى السماء، فإما أن يتأولوا الخبر وإلا أخرجوه إلى الكذب.

فان قال النصارى: لم يزل يسوع متجسداً، أكذبتهم نصوص الإنجيل والأمانة إذ تقول: إنه أخذ جسده من مريم عليها السلام، وقال في الإنجيل (هذا مولد يسوع المسيح) فحكم بأنه مخلوق.

١٤ سؤال **رابع** من المعضلات: روى النصارى عن المسيح أنه قال: (إن إبراهيم الخليل اشتهى أن يرى يومي فرأى وفرح، فقال له اليهود: لم يأت لك

---

(١) أخنوخ: اسم عبري ومعناه (مكرس أو محنك)، وهو ابن يارد، وقد ذكر في التوراة أنه عاش في طاعة الله ثلاثمائة وخمساً وستين سنة، ثم لم يوجد بعد ذلك لأن الله أخذه (سفر التكوين ٥/ ٢٢-٢٤) وفسر ذلك بأن الله نقله لكي لا يرى الموت. (ر: قاموس ص ٣٢).

وقال الإمام ابن كثير: ان ادريس عليه السلام هو خنوخ، قال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً**﴾سورة مريم/ ٥٦، ٥٧، وقد كان قبل نوح عليه السلام، ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم عن الخط بالرمل، ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء .أ.هـ

(ر: قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٨، وراجع: قصص الأنبياء للنجار ص ٢٤، والنبوة للصابوني ص ٢٤٣).

خمسون سنة فكيف رأيت إبـراهيم؟ فقال: الحق أقول لكم أنني [كنت][1] قبل أن يكون إبراهيم) قال المؤلف: هذا من أقوى ما يتمسك به النصارى في ربوبية المسيح.

والجواب: يحتمل أن يكـون الله تعـالى قـد أرى إبراهيم أيـام المسيح كما أرى آدم جميع أيـام ولـده، وأعلم إبراهيـم بأحوالـه كما أعلم آدم بأحـوال ولـده من بعـده، وكما أرى موسى مـا يؤول أمـر بني إسرائيل إليه على مـا / يشهد بـذلك ١/١٦٧/ب
التوراة وذلك بالروح المدركة لا بالعين الباصرة.

فإن أبى النصارى هـذا التأويل أكذبوا متَّى إذ يقول في صـدر إنجيله: (هذا مولد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم)[2]، وأكذبوا لـوقا في روايته عن جبريل إذ يقـول لمريم: (إنك تلـدين ولداً يسمى يسـوع يجلسـه الـرب على كرسي أبيـه داود).

وإذا كان المسيح إنما هـو ابن مريم ولدته في زمن متأخـر عن إبراهيم بمئتين من السنين، فكيف يكون قبل إبـراهيم إلا على وجه التأويل وهو أن اللـه تعالى كان قـد قَدَّر لـه الاصطفاء والاجتباء في سبـاق علمه قبل إبـراهيم، وأعلَم الله إبراهيم: أن من ولـدك من أجعله آيـة للعالمين، فاشتـاق إلى رؤية هذا الـولد، فكشف الله له عن روحه الزكية النبوية فرآها وفرح بها.

---

(١) ساقطة من الأصل وقد أثبتناها من نص الإنجيل.
(٢) متى ١/ ١.

وقد روي في الخبر «أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأشباح بألفي عام»(١)، وقد قال سليمان في حكمته: (أنا قبل خلق الدنيا)(٢) كما حكينا فيما مضى، وقال داود في مزموره: (ذكرتني يا رب من البدء وقدَّستني بأعمالك)(٣).

وقيل لمحمد صلى الله / عليه وسلم: متى وجبت لك النبوة؟ فقال عليه ١/١٦٨/أ السلام: «كنت نبياً وآدم منجدل في طينته»(٤).

١٥ سؤال خامس: وهو من المعضلات: روى النصارى عن يوحنا الإنجيلي أنه قال في صدر إنجيله: (إن الكلمة صارت جسدا وحلت فينا)(٥).

---

(١) رواه الأزدي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ (إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم جعلها تحت العرش ثم أمرها بالطاعة فأول روح سلمت علي روح علي). قال الأزدي: في إسناده عبد الله بن أيوب بن أبي علاج وهما كذابان، وقال ابن عدي في الكامل ٤/ ٢١٠: هو منكر، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع (ر: الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٤٠١، واللآلىء المصنوعة للسيوطي ١/ ١٩٩، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص ٣٨٢).
ورواه أبو عبد الله بن منده عن عمرو بن عنبسه رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ (إن الله خلق الأرواح قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف). قال ابن القيم: إسناده لا يصح، ففيه عتبة بن السكن، قال الدارقطني: متروك، وأرطأة بن المنذر، قال فيه ابن عدي ١/ ٤٣١: بعض أحاديثه غلط. اهـ. (ر: الروح. لابن القيم ص ٢١٦، ٢٣٢).

(٢) سفر الأمثال ٨/ ٢٢-٣١ بألفاظ متقاربة.

(٣) سفر المزامير ١٤٣/ ٥ بألفاظ متقاربة.

(٤) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٤/ ١٢٧، وابن حبان (ر: الموارد ص ٥١٢). والحاكم ٢/ ٤١٨ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: . . . . فذكره بنحوه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. كما صححه الشيخ الألباني في حاشية مشكاة المصابيح ٣/ ١٢٧. وفي رواية أخرى عن ميسرة الفجر رضي الله عنه أخرجها الإمام أحمد ٥/ ٥٩، والحاكم ٢/ ٦٠٧-٦٠٩ وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) يوحنا ١/ ١٤.

والجواب: إن ذلك يحتمل التقديم والتأخير لفساد التعبير وتبدل اللسان فتكون إن الجسد الإنساني الذي هو جسد المسيح سمي الكلمة، ولا معنى لـ(صار) إلا تجدد ما لم يكن، وقوله (وحلَّ فينا) إشارة إلى جسد يسوع المسيح الذي صار كلمة بالتسمية من الله تعالى، وكأن يوحنا يقول: إن الذي كفر به اليهود ونسبوه إلى الجنون شرَّفه الله وسماه كلمة له، وأقام بين أظهرنا ما أقام لم يعرفوا قدره.

ويحتمل أن يكون يوحنا أشار بهذا القول إلى بطرس كبير التلاميذ ووصي المسيح من بعده، فإنه قام بتدبيرهم بعد رفع المسيح بعهد عهده إليه ووصية أوصاه، وكان التلاميذ يفزعون إليه في نوازلهم بعد المسيح على ما يشهد به سيرهم/ ، وكأن يوحنا يقول: إن ذهبت الكلمة من بيننا فإنها لم تذهب حتى صارت جسداً وحل فينا، يريد أن بركة الكلمة وتدبيرها حاضر في جسد بيننا وهو بطرس. ١٦٨/١/ب

ويحتمل أن يكون يوحنا قال: إن الكلمة أصارت جسداً وحَلَّ فينا، فأسقطوا الهمزة عند إخراج الكلام إلى اللسان العربي من العبراني، والميز[1] بين صارت وأصارت لا يكاد يدرك في اللسان الواحد، فكيف مع النقل والتحويل وفساد الترجمة؟! وقد أخبر الله تعالى أن المسيح كان يصنع من الطين حيواناً[2]، والنصارى وإن أنكروا هذا ففي الإنجيل ما يصدِّقه وهو (أن المسيح عليه السلام تفل على الطين من ريقه وصوَّره على موضع عيني رجل أكمه قد

---

(١) أي: التمييز والتفريق بين صارت وأصارت. . .

(٢) قال تعالى ﴿**ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله . . .**﴾ **الآية** سورة آل عمران / ٤٩، ولم تذكر الأناجيل المحرفة هذه المعجزة لعيسى عليه السلام، كما لم تذكر أيضا كلام عيسى في المهد صبيا، وذلك بسبب نسيانهم وإهمالهم وتحريفهم لكتب الله عز وجل.

ولد أعمى وقال: إذهب فاغتسل في عين شلوخا ففعل وأبصر، فتعجب اليهود من ذلك)[1].

فإن أبى النصارى تأويلنا لكلام يوحنا هذا لزمهم أن تكون الكلمة الأزلية استحالت لحماً ودماً وعروقاً وشعراً وظفراً واغتذت بالطعام / وكان منها ما ١/١٦٩أ يكون من الأنام، وبقيت ذات الباري خرساء غير ناطقة وجاهلة غير عالمة، وذلك لا يقوله لبيب.

فإن قيل: فما المرضي عندك في كلمة يوحنا هذه على تقدير صحتها وسلامتها عن التحريف والتصحيف؟

فأقول: يحتمل أن تكون كلمة جبريل التي أوردها على مريم قد صارت جسداً وتَخلَّق منها المسيح الذي حلَّ فيهم، وقد قال الله تعالى ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا -إلى قوله- فحملته فانتبذت به مكانا قصيا**﴾[2]، وذلك بعينه هو الذي حكاه لوقا في إنجيله عن جبريل، وإذا كانت الكلمة التي صارت جسدا هي كلمة جبريل اندفعت عنا مؤنة التأويل.

١٦ سؤال سادس من المعضلات: حكى النصارى عن المسيح أنه قال: كما أقام يونس في بطن الحوت ثلاثة أثام وليال فذلك ابن الإنسان يقيم في بطن الأرض وقلبها ثلاثة أيام وثلاث ليالي)[3].

والجواب: عن ذلك من وجهين: - أحدهما - لا أُسلِّم صحة هذا النقل بل هو كذب ومَيْن، إذ الإنجيل يشهد أن المصلوب المقبور لم يبق / في قلب ١/١٦٩/ب الأرض وبطنها سوى يوم واحد وليلتين على كلا الروايتين، فقد أخلف قولهم وظهر كذبه وإفكه فلا حاجة بنا إلى الكلام عليه.

---

(١) يوحنا ٩/ ١ -٧.

(٢) سورة مريم الآيات ١٧-٢٢.

(٣) متى ١٢/ ٣٩، ٤٠.

والـوجـه الثـاني - أن المسيح لم يقل : إني أقتـل وأصلب وأدفن وأقيم في بطن الأرض هـذه المدة كما تخرصـه النصـارى، إنما قـال : إن ابن الإنسـان يجري لـه ذلك، وابن الإنسـان هو الذي يُشَبَّـه لليهود بـالمسيح لأن المسيح على ما قـررته، وأوضحته فيما تقدم(١) .

وقد قلَّبت الإنجيل دفعـات كثيرة وأنعمت النظر فيـه فما وجدتـه قط أضاف ذلك إلى نفسـه الكريمـة ولا أورده إلا مضافـاً إلى ابن الإنسان يعـرف ذلك من وقف على الإنجيل .

والعجب من النصارى كيف يُنزلون ذلك على المسيح وهم [لا] (٢)يرضون له بنوة إبراهيم وداود؟! فكيف يجعلونه ابن إنسان من عرض الناس؟!

والعجب أيضاً أنهم يصفـونه بما وصفه به اليهـود من حيث لا يشعرون؛ لأن غاية مـا قال فيه اليهود أنـه ولد يوسف النجار، فأي فـرق بينهم وبين اليهود في ذلك / إذا اعترفوا أنه ابن الإنسان؟ /١٧٠/١

وإذا كان المسيح عنـدهم إنما هو ابن الله - تعالى اللـه عن ذلك علواً كبيراً - فـلا يمكن أن يكون ابن اللـه يُقتل ويُـدفن في الأرض بين الأموات، هـذا مع وصفهم له في الأمانة (فإنه إله حق من إله حق من جوهر الله) فإن صدقوا - وحوشـوا من الصدق - فـالذي قـال المسيح : إنه يكـون في قلب الأرض أيام وثـلاث ليالي، إنما هـو ابن الإنسان الـذي هـو إنسان حق من إنسـان حق من جوهر أبيه آدم، وفي ذلك تكذيب لهم في دعوى قتل المسيح وصلبه .

---

(١) ر: الباب الخامس في أن المسيح عليه السلام وان قصد وطلب فما قتل وما صلب .
(٢) في ص (فلا) والصواب ما أثبته .

١٧ سؤال سابع من المعضلات: حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: (قال داود في مزمور له: قال الرب لربي)(١)، قال المسيح: فهذا داود يدعوه ربه فكيف تقولون إنه ابنه؟)(٢).

والجواب: أنا لا نصحح هذا النقل عن داود نبي الله، فإنه إنما بعث ذاباً عن توحيد التوراة ومقرراً لها أسوة غيره من الأنبياء الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام والتوراة، فليس فيها ما يدل على ضلال النصارى، ومتى شهر عن / موسى أو داود وغيره من أنبياء الله أن الرب يكون له ربا وللإله إلها؟! ١/١٧٠أ

وإذا كان ذلك من الهذيان فلنوَرِّك(٣) على النقلة عن داود، إذ داود ثابت العصمة وهو أعرف بالله تعالى من أن يجعل له رباً فوقه أو ربا تحته يشاركه في الربوبية، على أن ذلك مردود بشهادة الإنجيل عن جبريل إذ قال لمريم: إنك تلدين ولداً يجلسه الله على كرسي أبيه داود، وفي ذلك تكذيب لمن نقل عن المسيح أيضاً، إذ المسيح قد شحن إنجيله بتوحيد الله وإفراده بالربوبية كما حكيناه عنه، فكيف يَدَّعي أنه رباً لداود والناس ينادونه: يا ابن داود ارحمنا، فيفعل ويرضى منهم بهذا القول.

وهو القائل في إنجيله (لا صالح إلا الله)(٤) (إن إلهكم واحد)(٥) (إن أفضل الوصايا كلها الله واحد)(٦) أنا ذاهب إلى إلهي و[إلهكم])(٧) (إلهي إلهي

---

(١) ورد في مزمور ١١٠/ ١، وقد نقل الإمام ابن تيمية استدلال النصارى بهذا النص، وذكر الرد عليهم من أربعة أوجه. (ر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) متى ٢٢/ ٤٣، ٤٤.

(٣) أي: فلنوجب حمل الذنب على النقلة عن داود. (ر: قاموس ص ١٢٣٥).

(٤) متى ١٩/ ١٦-١٧، مرقص ١٠/ ١٧، لوقا ١٨/ ١٨.

(٥) متى ٢٣/ ٩.

(٦) مرقس ١٢/ ٢٨-٣٠.

(٧) في ص: الاهي، والتصويب في النص في إنجيل يوحنا ٢٠/ ١٧.

لِمَ تركتني؟)[1] (إنكم تريدون قتلي وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله)[2] وذلك في الإنجيل كثير جدا.

وإذا كان هذا نص المسيح في الإنجيل فقد كذبوا عليه في ادِّعائه أن داود / ١/١٧١/ عبده. قال مؤلفه: سألت حَبراً من أحبار اليهود عن هذا المزمور، قال: (قال الرب لربي) تفسيره عندنا بالعبرانية (قال الرب لوليي)، قال: والرب عندنا يطلق على المعظم في الدين ثم تلا قول إبراهيم ولوط الذي حكيناه[3].

١٧ سؤال ثامن من المعضلات: قال النصارى: نحن واليهود من مخالفينا في الملة ننقل أن الذي قتل وصلب لم يكن سوى يسوع المسيح فلو تطرق التشكيك إلى رواتنا ونقلة أخبارنا وحملة ديننا لتطرق مثله إلى ما تنقلونه عن أسلافكم ولم يثبت لأحد من أتباع الأنبياء قاعدة ألبتة[4].

والجواب: أن الرواة الأربعة الذين رووا لكم القتل والصلب لم يحضر منهم أحد البتة ذلك المشهد من خوف اليهود بشهادة الإنجيل.

وقد شهدت أقاصيص الإنجيل بأن المسيح كان قد تغيَّر منظر وجهه حتى على بطرس وخواص تلاميذه، واستولى عليه ذلك حتى تعدَّى إلى لون ثيابه فغيرهما عما كانت عليه، وأنه لما التبس أمره وتنكرت حلاه على أصحابه فضلاً عن اليهود إحتاجوا / إلى أن أرشوا رجلاً من تلاميذه الاثني عشر برشوة حتى ١/١٧١ دلَّهم عليه، ثم لم يعرفوه حتى قال لهم: إذا رأيتموني أُقَبِّل شخصاً فأمسكوه فإنه

---

(١) متى ٢٧/ ٤٦، مرقس ١٥/ ٣٤.

(٢) يوحنا ٨/ ٤٠.

(٣) ر: ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٤) ذكر هذا الاعتراض من النصارى والرد عليه أيضا في الأجوبة الفاخرة للإمام القرافي ص ٥٠، ٥٥، والانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، لنجم الدين الطوفي ص١٠١.

يسوع، هـذا مع كون المسيح في كل يوم في الهيكل يناظـرهم ويفحمهم بالحجج النبوية ويظهر عليهم ويكسر حججهم في كل مجلس ومجمع يجتمعون فيه.

فما حاجتهم إلى مَنْ يعـرِّفهم عينه بعلامـة وأمارة يجعلها لهم لولا وقـوع الشبه الحائل بينهم وبين رجل من أسبـاطهم وعشائرهم فَأَخْـذُهم من أخذوه إنما هـو الشَّبه، ثم الشبه إنما أخـذ ليلاً فلم يصيروا به إلى رئيس الكهنة ولـه حلية تُعرف فقتلوه صبيحـة تلك الليلة كما أخبر الإنجيل. وإذا كـان هذا نص الإنجيل أن أصحـاب المسيح لم يحضروا، واليهـود قـد اشتبـه عليهم الحال وأنكـروا صـورة المسيح بعد طـول المعرفة به، فإخبـار من جاء بعدهم لا يفيـد ولا الظن إذ كان مستنده ما ذكرنا.

فالقـول بقتل المسيح وصلبه لا سبيـل إلى صحته بعد إخبـار جبريل عن رب العـالمين أن المسيح يجلسـه الـرب على كـرسي أبيـه داود، ويملِّكـه / على بيت ١/١٧٢/أ يعقوب على ما تضمنه إنجيل لوقا، وقد حققنا ذلك غير مرة فلا نعيده(١).

١٨ سؤال تـاسع من المعضـلات قال النصارى: قـال المسيح: (إذا كـان يوم القيامة أرسل ابن الإنسـان ملائكته، فجمعوا أصحاب الشكـوك وفاعلي الآثام فيلقونهم في أتون النار، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان)(٢).

قال النصـارى: فقد أثبت لنفسه مـلائكة، ولا يثبت ملك الملائكـة إلا لله تعالى، وأثبت أنه المقتول المصلوب.

---

(١) ر: الباب الخامس.

(٢) متى ١٣/ ٤١، ٤٢.

والجواب: أن هذه نسبة صحبة لا نسبة ملك، والدليل على ذلك من الإنجيل قول يسوع (لا تحقروا أحداً من هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فان ملائكتهم ينظرون وجه أبي الذي في السماوات في كل حين)(١) فقد أثبت للصغار ملائكة لم يرد الملك، وقد قال يسوع أيضاً لليهود في الإنجيل: (لا تظنوا أني لا أستطيع أن أدعو أبي فيرسل لي اثنا عشر جوقاً من الملائكة)(٢) أثبت ها هنا ملك الملائكة لله وحده فكان ذلك المطلق [محمولا](٣) على هذا المقيد.

وقد قالت التوراة: (إن بني / إسرائيل كان لهم ملك يحمل عمود الغمام ويسير أمامهم ويلهب لهم بالليل نارا يؤمونها في مسيرهم)(٤). ١/١٧٢/

وقوله (إن ابن الإنسان) يوهم أنه أراد نفسه، ونحن نحمله على الشَّبه الشهيد الذي صلبه اليهود، أنعم فإنه من الحواريين الذين هم تلوا النبيين في الشفاعة، قال الله تعالى: ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . .**﴾ **الآية**(٥). وإذا كان الشَّبَبه صِدِّيقاً فهو من خيرهم لإيثاره المسيح، فلا بُعد أن يشهد له المسيح بأنه يشفع يوم القيامة، ويرسل الملائكة بين يديه ويؤمر بامتثال أوامره ويلقي من آذاه وقتله وصلبه في أتون النار.

والدليل على تشريف الأولياء والأصفياء بهذه الرتبة الكتاب العزيز والإنجيل، قال الله ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾(٦) دَلَّ على أن من الشافعين من تنفع شفاعته. وقال المسيح لتلاميذه: (أنتم الذين صبرتم معي

---

(١) متى ١٨/ ١٠.
(٢) متى ٢٦/ ٥٣.
(٣) في ص (محمول) والصواب ما أثبته.
(٤) سفر الخروج ١٣/ ٢١ ، ٢٢.
(٥) سورة النساء: ٦٩.
(٦) سورة المدثر: ٤٨.

في تجاربي وإنكم يوم القيامة تجلسون على اثني عشر كرسياً من كراسي المجد
١/١٧٣ تدينون اثني عشر سبط بني إسرائيل)(١) فقد أثبت محاسبة / الأسباط من بني يعقوب إلى تلاميذه، والمصلوب من خيرهم كما تقدم، وكيف لا يعظم جرم اليهود ويسلط عليهم في الدار الآخرة أصحاب المسيح وإنما قتلوا في زعمهم واعتقادهم وظنهم المسيح؟! فبشؤم قصدهم عظم إثمهم وإن لم يصادفوه ولا قتلوه فسلط الله عليهم في القيامة بعض خدمه وهو الشَّبه لينتقم منهم .

٢٠ سؤال عاشر وهو من المعضلات، قال النصارى: قال داود في مزمور له وتنبأ به على آلام المسيح وما يجري عليه من اليهود: (ثقبوا يدي، وجعلوا في طعامي المرار، وعند عطشي سقوني خلا، يا رب لا تبعد نصرك مني)(٢).

---

(١) متى ١٩/ ٢٨ .

(٢) ورد في مزمور ٢٢/ ١٦ -١٩ كالآتي (لأنه قد أحاطت بي كلاب جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يديَّ ورجلي، أحصي كل عظامي وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ ، يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون، أما أنت يا رب فلا تبعد، ياقُوَّتي أسرع إلى نصرتي):

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: إن هذه العبارة (ثقبوا يدي ورجلي) المذكورة في التراجم الشائعة، لا توجد في العبرانية؛ بل يوجد بدلاً منها هذه الجملة (كلتا يدي مثل الأسد).

فنسأل النصارى: هل النسخة العبرانية ها هنا محرفة في زعمكم أم لا ؟! فإن لم تكن محرفة، فلم حرّفتم هذه الجملة لتصدق على المسيح في زعمكم؟! وإن كانت محرفة فلا بد أن تُقِرُّوا بتحريفها. (ر: إظهار الحق ص ٥٥ بتصرف بسيط).

وهذا يؤكد أن هذا المزمور بالذات قد تعرَّض للكثير من التحريف والتعديل، مما يجعلنا في شك من أن تراجمه الشائعة لا تعطي نفس المعاني والمفاهيم التي سجلها داود عليه السلام في مزموره الأصلي.

كما أن فهم علمائهم لهذا المزمور يتمثل فيما يقوله الأستاذ نينهام - أستاذ اللاهوت - في كتابه تفسير إنجيل مرقس ص ٤٢٨ : بأننا لو أخذناه ككل ، فإنه لا يعدوا أن يكون صلاة لعبد بار يعاني آلاما إلا أنه يثق تماماً في حب الله له وحفظه من الشر وهو مطمئن تماماً لحمايته وخاصة الفقرات ١٩-٢٦، وبالذات الفقرتين ٢٤، ٢٦ (وفيهما: لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب عنه بل عند صراخه استمع إليه).

وتوجد بعض الشواهد على أن افتتاحية المزمور كان يفسرها قدماء اليهود على ضوء بقية أجزائه، وأنه كان يُعرف كصيغة صلاة مؤكدة الاستجابة من أجل العون في وقت الضيق) أ. هـ. (نقلا من المسيح في مصادر - لأحمد عبد الوهاب ص ٢٢٧ - ٢٢٩). ==

قالوا: فأي حجة أبين أو دليلاً أوضح من هذا ؟!

والجواب: عن ذلك من وجوه:

أحدهـا - لا نسلم أن داود عنى بذلك المسيح بل لم يعن إلا نفسـه، والكلام يحمل على المعنى حيث أعـوز حمله على اللفظ، وكأنـه عليه السلام كَنَّـى بذلك عما هـو بصدده من قتـال المشركين ومنـازعة أعـداء الـدين وجبابـرة فلسطين، وكأنهم / لطول حروبهم وموالاة شرورهـم فعلوا هذه الأشياء، وداود أخبر بهذا ١/١٧٣/ب المزمور عن نفسه فمن أراد صرفه عنه إلى غيره فعليه إقامة الدليل.

قال مؤلفـه: بعد تبييض هذه النسخة والفـراغ سألت حبراً من أحبار اليهود عن قول داود (ثقبوا يدي) بالمزمور، فأجـابني بنحو ما ذكرته في الوجه الأول على الفور من غير توقف، فتعجبت من اتفاقه لنص ما عندهم.

الوجـه الثاني - نسلم أن داود لم يعن بـذلك نفسه ولكن عنى غيره فبـم تنكر النصارى أن ذلك المعنِيَّ رجلٌ كـان قبل داود؟! واللفظ يساعد عليه فإنـه ذكره بلفظ الماضي فقال: ثقبـوا يدي جعلوا في طعامي المرار، وذلك يشير إلى أمـر قد وقع وفرغ منـه، وإذا كان ذلك لم يصلح لـلاستقبال فلعل داود إنما أراد بـالمزمور رجلاً من أسـلافه الماضين كإبراهيم وموسى وغيره من الأصفيـاء فتألم بذلك تألم الولد البار لـوالده وذوي رَحِمِه وعزَّى نفسه وسلاَّها فيما ابتلي بـه من / قتال كفار ١/١٧٤/أ زمانه وملوك دهره.

==

وأما احتجاجهم بالنص (وجعلوا في طعامي . . .) فقد ورد في مزمور ٦٩/ ٢١ كالآتي: (ويجعلون في طعـامي علقماً وفي عطشي يسقـونني خـلا) إلا أننـا نجـد النص مختلفـاً في الترجمة الحديثـة THE PSALMS طبعـة لنـدن وجـلاسجـو عـام ١٩٦٣م كـالآتي: (أعطـوني لطعـامي سماً في عطشي سقونني خـلاً) ومن الواضح أنه لا يمكن تطبيق هـذه الترجمة على المصلوب حرفيـاً لأن الذي يعطي لطعامه سما، لا يلبث أن يموت بالسم وليس بالصلب. (ر: المرجع السابق ص ٢٤٦, ٢٥٢).

الوجـه الثالث - نسلِّم أن داود أراد الاستقبال، لكن ليس في المزمور مـا يدل على قتل وضرب وصفع وصلب كما نسبه النصـارى لربهم في زعمهم، وليس فيه إلا أن رجـلاً من النـاس يُثقب يده ويُسقى خـلاً عنـد عطشـه ويُمَرَّر طعـامـه ويسأل ربه وخـالقه إلهه أن ينصره، ولا يلزم مـن وجود هذه الأمـور وجود قتل وصلب، فقد يثقب يد الإنسان ويسقى الخل ولا يموت.

والـوجه الـرابع - سلَّمنا أن ذلك يستلـزم القتل والصلب والإهانـة وأن داود عبَّر ببعض الآلام عن سائرهـا، لكن من أين للنصارى أن المفعول بـه ذلك هو المسيح؟! وليس في كـلام داود لـه ذكـر البتـة، فبم ينكـرون على من يقـول أن المفعول به ذلك هـو الشبه لا المسيح؟! وليس دعواهم أن داود أراد المسيح بأولى من دعوى من يقـول: لم يرد بـذلك إلا الشبه، والـدليل على أن داود أراد الشبه قولـه (يا رب لا تبعـد نصرك مني)، فصَّـرح داود بأن المفعـول به ذلك عبـد من عبيد / الله يستصرخ بربـه ويلتمس نصر خالقه عند نزول كربـه، ويؤيده قول ١/١٧٤/ب نقلة الإنجيل أن المصلـوب قال في آخر كلام تكلم بـه على الخشبة: (إلهي إلهي كيف تركتني ؟)، والمسيح ليس كـذلك عند النصـارى، ولا سيما وقد رووا عن داود أنـه عنى المسيح بقولـه في المزمـور: (قال الـرب لـرَبِّي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعـداءك مـوطيء قدميك)، وإذا قـالـوا: إن داود يخاطب المسيح بلفظ الربوبية وأن أعـداءه تكون موطيء قدميه بطل أن يكون عنـى بقوله (ثقبوا يدي) المسيح وصحَّ إضافة ذلك إلى الشبه.

ثم داود عبراني اللسـان، فلو كـان في مزامير ما ينـوه بذكـر المسيح وربـوبيته وقتلـه وصلبـه لكـان العبرانيون ــ وهم اليهـود ــ أحق بمعـرفتـه من غيرهم، لاشتغالهم بتلاوة مزامير داود وانكماشهم على قراءتها والتعبد بها، فإقدامهم على ما أقدموا عليه من طلب المسيح وتكـذيبه، وعزمهم على قتله حتى شغلهم الله

١/١٧٥/أ عنه بالشبه الذي قتلوه وصلبوه ــ دليل واضح/ على غلط النصارى فيما استنبطوه من المزامير بعقولهم واستخرجوه بأذهانهم.

فهذه عشرة أسئلة معدودة من معضلات أسئلتهم مضافة إلى ما قدمناه، غير أن هذه الأسئلة هي أساس كفرهم، وعليها عقدوا أمانتهم التي سنبيّن بعون الله فسادها وتناقض ألفاظها ومعارضتها للثالوث ومعارضة الثالوث لها.

وقد بيّن داود في المزمور التاسع عشر على ما ذهبنا إليه من خلاص المسيح من أعدائه اليهود، وأخبر أن الله تعالى حماه منهم وستره عنهم، فقال: (يستجيب لك الرب في يوم شديد، ويرسل لك عوناً من قدسه يعضدك من الآن، عرف خلاص الله لمسيحه ومن سماء قدسه استجاب له)(١) فقد شهد داود بأن الله خلِّص المسيح.

وهذا المزمور مصدِّق لقول لوقا: (إن جبريل خبَّر عن الله أن المسيح يكون ملك بني إسرائيل) فأما مزمور (ثقبوا يدي) فكذَّب بشارة جبريل، وما رَدَّ بشارة جبريل عن الله تعالى فهو مردود.

فإن قيل: فالمسيح صعد إلى السماء(٢) وهذا يدل على ربوبيته. قلنا: هذا
١/١٧٥/ب من أضعف ما يتمسك/ به، إذ الملائكة تصعد السماء وليسوا آلهةً ولا أرباباً، وأخنوخ الذي هو إدريس قد صعد إلى السماء(٣) وهو عبد من عبيد الله، وكذلك إلياء وَدَّع تلميذه اليسع وصعد إلى السماء على فرس من نور(٤).

---

(١) مزمور ٢٠/ ١ - ٧.
(٢) مرقس ١٦/ ١٩، لوقا ٢٤/ ٥١.
(٣) سفر التكوين ٥/ ٢٤.
(٤) سفر الملوك الثاني ٢/ ١ - ١١.

والعجب أن التلاميذ عندكم أفضل من إدريس وإليا وغيرهم وقد قتلوا وماتوا ودفنوا في الأرض، فليس في صعود السماء ما يدل على ما يذهبون إليه.

فإن قيل: فالمسيح أخبر بالمغيَّبات وعَرَّف تلاميذه بما سيحدث في المستقبل(١) ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

قلنا: التعلق بذلك يصلح لإثبات النبوة والرسالة، أما أنه يصلح لما تدَّعونه فلا، والدليل على ذلك أن نوحاً وإبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وجماعة من الأصفياء قد أخبروا بالمغيبات فوقعت على وفق خبرهم. فأخبر نوح بالطوفان وهلاك الخلق بأسرهم إلا من ركب سفينته(٢)، وأخبر إبراهيم بأن ذريته يكونون في العبودية والسخرة بمصر المدة الطويلة(٣)، وأخبر يعقوب بأن
١/١٧٦ أ الله سيذكر بني إسرائيل ويخرجهم من مصر إلى بلادهم بيدٍ / منيعة عزيزة قوية(٤)، وأخبر موسى بشتات أمر اليهود وعبادتهم الأصنام والأوثان وإعراضهم عن طاعة الله الذي أنقذهم من سخرة فرعون(٥)، وأخبر يوسف بالغلاء والمجاعة التي تعمُّ الأرض سبع سنين(٦). وأخبر دانيال بختنصر بمغيبات كثيرة(٧)، فلم يخرم مما قالوا ولم يخلف كما شهد بذلك كله التوراة

(١) متى ٢٤/ ١ - ٣١، مرقس ١٣/ ١ -٣٢، لوقا ٢١/ ٥-٢٨، لوقا ٢٢/ ٣١ - ٣٨، يوحنا ١٣/ ٣٦-٣٨.

(٢) سفر التكوين إصحاح (٦).

(٣) سفر التكوين ١٥/ ١٣-١٧.

(٤) سفر التكوين ٤٨/ ٢١.

(٥) سفر التثنية ٣١/ ٢٤ -٣٠، ٣٢/ ١-٤٧.

(٦) سفر التكوين ٤١/ ٢٥-٣٦.

(٧) من هذه المغيبات: إخبار دانيال بختنصر بحلمه عن التمثال العجيب وتفسيره له (ر: دانيال صح٢)، وعن حلم الملك عن الشجرة العظيمة التي قطعت وتأويل ذلك (ر: دانيال صح ٣)، وعن تفسير الكتابة التي ظهرت على الحائط في الوليمة التي أقامها الملك (ر: دانيال صح ٥) وغير ذلك.

والنبوات وأربوا على المسيح في ذلك، وذلك كله بتعريف الله ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول**﴾(١).

والعجب كيف يتمسك النصارى في دعوى ربوبية المسيح بإخباره الغيب، وهذا نوح وإبراهيم ويعقوب يخبرون به وينبئون عنه، مع أن النصارى لا يعتقدون فيهم سوى أنهم قوم صالحون لا غير(٢)، وهذا من أجلِّ أغاليطهم وكفرهم إذ

---

(١) الآية الكريمة ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلا من ارتضى من رسول فانه يَسْلُك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ سورة الجن/ ٢٦, ٢٧.

(٢) إن الفكر النصراني المنحرف في القرون الأولى المسيحية لم يتطرق إلى بحث قضية الوحي والنبوة؛ لأن ألوهية المسيح عليه السلام وما يتعلق به من قضايا فلسفية هي المحور الرئيسي للفكر النصراني أو ما يسمى بعلم (الثيولوجيا THEOLOGIA). أما بعد ظهور الإسلام فإن موقف النصارى من بعض قضايا النبوة مثل نبوة بعض الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم ويعقوب عليهم السلام، فهو يتخلص في الآتي:

الأول: اعتبارهم مجرد آباء للشعب الإسرائيلي ورجال صالحين وليسوا أنبياء مرسلين من الله، وهذا الموقف ناشئ من التراث اليهودي الذي ورثه النصارى، (فإن التراث اليهودي يجعل النبوة تبدأ في مرحلة متأخرة من الزمان، بدأت بموسى عليه السلام - الذي يعتبر أبا الأنبياء ومن أبرز آبائهم المتقدمين - وتنتهي بأنبياء القرن الرابع قبل الميلاد، أما نوح وإبراهيم ويعقوب وغيرهم فإنهم - في نظر اليهود - مجرد آباء للشعب الإسرائيلي وبأن ما تلقاه هؤلاء الآباء من الوحي الإلهي فإنه إرث يهودي خالص.

ونادراً ما يستخدم تعبير (الأنبياء) للتعريف بهذه المجموعة من الأنبياء - حسب الفهم الإسلامي -، فكل الشخصيات السابقة على موسى عليه السلام في التراث اليهودي يجمعهم لقب البطارقة (THE PATRIACHS) أو الآباء بما يعني أنهم كانوا بمثابة رؤساء وشويخ لقبائلهم، وأن وظيفتهم كانت سياسية اجتماعية أكثر منها دينية).

(ر: تاريخ النبوة الإسرائيلية ص ١٦ -٢١ د. محمد خليفة حسن أحمد، دائرة المعارف اليهودية ١٣/ ١٨١. مادة البطارقة، ١٣/ ١١٤٩ مادة النبوة، قاموس أكسفورد ص د، ١١٣٢).

كما أن أصحاب هذا الموقف قد يكونون متأثرين برد الفعل المعاكس لما ورد في القرآن الكريم من إثبات نبوة هؤلاء الأنبياء الكرام، مما دعاهم إلى إنكار نبوتهم عناداً ومخالفةً لما عند المسلمين.

أما الموقف الثاني: الاعتراف بنبوتهم، وهو ما ورد في بعض المصادر اليهودية (ر: تنقيح الأبحاث ص ٢١ لابن كمونة اليهودي، الأصول الثلاثة عشر لموسى بن ميمون) وفي بعض المصادر النصرانية (ر: قاموس ص ٩٥١، قاموس أكسفورد ص ١١٣٢)، وأصحاب هذا الموقف متأثرون بالاسلام، وهم بذلك يتحاشون الانتقادات التي توجه إليهم لعدم إثباتهم نبوة هؤلاء الأنبياء الكرام مع ثبوت تكليم الله عز وجل لهم في التوراة.

وبذلك يتبين لنا أن ما ذكره المؤلف عن أهل الكتاب صحيح. والله أعلم.

وكفرهم إذ أخرجوا من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم عليهم السلام مع شهادة التوراة بأعلامهم ورسوخ أقدامهم ومكالمتهم الحق ودعائهم الخلق(١).

فإن قيل: فالمسيح جاء من غير / فحل، ونحن وأنتم قاطعون بطهارة مريم ١/١٧٦/ب وبراءتها. وإذا كان لا بد من أب فلا أب له سوى الله تعالى.

قلنا: هذا من أضعف ما يُتَمسك به؛ وذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق حواء من آدم، قال الله تعالى في صدر التوراة: (لا يحسن أن يبقى ادم وحده بل نخلق له زوجاً مثله، فألقى الله عليه النوم فنام فنزع ضلعاً من أضلاعه وأخلف له عوضه لحماً، فخلق الله من ذلك الضلع حواء زوجته)(٢).

فإذا كان لا بد لها من أم فهل تقولون: إن الله أمها؟! فَخَلْقُ أنثى من ذكر بغير أم أعجب من خلق ذكر من أنثى بغير أب، وأعجب من هذين خلق بشر من غير أنثى ولا ذكر، وقد خلق الله آدم من تراب، فمن كان قادراً على أن يخلق بشراً من غير أبوين ولا يكون ابناً له كيف لا يقدر أن يخلق بشراً من أنثى ولا ذكر ولا يكون ابناً له؟!

---

(١) لقد وردت نصوص كثيرة في سفر التكوين من التوراة تثبت نبوة هؤلاء الأنبياء وإنزال الوحي عليهم، فأما نوح عليه السلام فقد ورد في الإصحاحات (٦-٩) النصوص الآتية: (فقال الله لنوح: نهاية كل بشر . . .) (وكلم الله نوحا قائلا: اخرج من الفلك . .)، (وقال الله لنوح: هذه علامة . .) وغير ذلك. وأما إبراهيم عليه السلام فقد ورد عنه في الإصحاحات (١٢-١٨، ٢٠-٢٤) نصوص كثيرة منها: (قال الرب لأبرام: اذهب من أرضك)، (ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الله القدير . . .)، (فقال الله له - أي لملك جرار الذي أخذ سارة زوجة إبراهيم - في الحلم: . . . فالآن ردَّ امرأة الرجل فإنه نبي . .) وغيرها. وأما يعقوب عليه السلام فقد ورد عنه في الإصحاحين (٣٥, ٤٦) مثل ذلك، منها: (قال الله ليعقوب: قم اصعد . .)، (وقال له الله: اسمك يعقوب . .) وغيرها. لكن التوراة المحرفة لا تذكر أي نشاط للدعوة لهؤلاء الأنبياء.

(٢) سفر التكوين ٢/ ١٨-٢٣.

وكم قد خلق الله سبحانه من مخلوقاته من غير تناسل معروف ولا ولادة معتادة؟! ﴿فأيّ آيات الله تنكرون﴾(١)؟!

انتزاعات لهم:

١/١٧٧/أ وانتزع النصارى من / التوراة والكتب العتيقة مواضع زعموا أنها دالة على ربوبية المسيح، ونحن نوردها في معرض الأسئلة، ونجيب عنها، ونبيّن أن ليس فيها [تفريج لكربة النصارى ولا معتصم](٢) لهم فيما يحاولونه.

١ - فإن قيل: ففي التوراة ما يدل على عقد النصارى في المسيح، وهو: (أن رسرائيل لما احتضر بمصر جمع بنيه ودعا واحداً ثم قال لابنه يهوذا: لا يعدم سبط يهوذا ملكاً مسلطاً، ونبياً مرسلاً حتى يأتي الذي له الملك. وإياه ينتظر الشعوب، ربط بالحبلة جحشه، يرخص بالخمر لباسه، ويصبغ بعصير العنب رداءه، عيناه أشد سهولة من الخمر، وأسنانه أشد بياضاً من اللبن)(٣).

---

(١) قال تعالى ﴿ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون﴾ سورة غافر / ٨١.

(٢) في ص (تفريجاً للبرية النصارى ولا معتصماً) والصواب ما أثبته.

(٣) ورد النص في سفر التكوين ٤٩/ ١ - ١٢ كالآتي (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه، مسوَّد العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن).

قلت: الفرق واضح بين هذا النص وما ذكره المؤلف، وقد أشار الشيخ - رحمة الله - إلى اختلاف اللفظ في عبارة (حتى يأتي الذي له الكل) وذكر أنها موجودة في التراجم العربية للكتاب المقدس المطبوعة سنة ١٧٢٢م، ١٨٣١م، ١٨٤٤م وأن عبارة (الذي له الكل)، أو (الذي هو له) ترجمة للفظ (شيلوه) أو (شيلون). (ر: إظهار الحق ص ٥١٨، ٥١٩).

وبناء على ذلك فإن تفسير هذه البشارة كالآتي: إنه لا تزول السلطة من بيت يهوذا والمشترع من بين رجليه أو صُلْبِه - وهو المسيح - لأنه من بيت يهوذا، فيكون ما بيَّنه في الأناجيل من الشريعة يبقى مستمراً حتى يأتي شيلون (أي من له الأمر أو الكل) فيكون الحكم والعمل على شريعته، ولم يتحقق هذا إلا بمجيء سيدنا محمد ﷺ.

وقد فسر الأستاذ عبد الأحد داود - الذي كان قسيساً فأسلم - كلمة (شيلوه) بالرجوع إلى أصل اشتقاق هذه الكلمة في اللغة العبرية، فسرها بثلاث تفسيرات:

الأول: (الشخص الذي له)، ويكون المعنى كالآتي: (إن الطابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا

قال النصارى : (١) وهذه صفات المسيح .

قلنا : اللفظ للتوراة وهي عبرانية واليهود من أولاد يعقوب أعرف بذلك منكم ، وها هم إلى الآن ينازعونكم في الموصوف بهذه الصفات ، ويدَّعون أنه صاحبهم وهم إلى الآن ينتظرونه ، ونحن لا نسلم أن هذا الموعود به عيسى بن مريم ولا غيره بل هو محمد ﷺ / والدليل على ذلك قول يعقوب (حتى يأتي ١/١٧٧/ب الذي له الملك) وليست كذلك وإنما هي (الكل) فحرفت بسوء النقل وكذلك هي في بعض نسخ التوراة (الكل) ، فجعله مع النبوة ملكاً مطاع الأمر كما قال

==

إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع ويكون له خضوع الشعوب) .

الثاني : (المسالم ، الهادئ ، الوديع ، الأمين) .

الثالث : أن كلمة شيلوه تحريف لكلمة (شلواه) ومعناه الرسول أو المبعوث . ثم يقرر الأستاذ عبد الأحد أنه على أي تفسير من هذه التفسيرات الثلاثة فإنها تنطبق تماما على نبينا محمد ﷺ الذي أقام دين الإسلام ووحَّد جميع الشعوب وأزال سلطة اليهود ، وهو ﷺ الملقب بالأمين ، وهو رسول الله الذي يتكرر إطلاق هذا اللقب عليه في القرآن الكريم وفي الأذان وفي الصلاة خمس مرات كل يوم .

ثم يقول : فإننا مضطرون بحكم تحقق هذه الصفات في محمد ﷺ ، أن نُسلِّم بأن اليهود ينتظرون عبثاً مجيء (شيلوه) آخر ، وأن النصارى مصرون على خطئهم في الاعتقاد أن عيسى كان هو المقصود بـ (شيلوه) . (ر: محمد في الكتاب المقدس - عبد الأحد داود ص ٧٧ - ٨٥ بتصرف) .

(١) ويزعم ذلك أيضاً مؤلفو قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٦ ، وقد توهمه أيضاً العلامة نجم الدين الطوفي في كتابه : (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، ص ١٠٧ ، ١٠٨) حينما زعم أن الصفات الواردة في النص السابق هي صفات المسيح ، وهذا اجتهاد خاطئ منه - رحمه الله - يرده ما ذكرناه سابقاً .

أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال له: اسكت فإنها النبوة[1]، وقال: لقد أتيت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه فما رأيت قوما أهيب لملكهم من أصحاب محمد لمحمد ﷺ[2].

وقال صناديد قريش: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشة[3]، جد من أجداد رسول الله ﷺ.

وكذلك كان عليه السلام، فإن الله جمع له الكل كما قال يعقوب النبوة والملك فاستقام أمره واستوسق[4] سلطانه واستتبت دولته وألقت إليه الدنيا سلطان مقاليدها فكان نبياً رسولاً كما كان سلطاناً مبعوثاً إلى الأحمر والأسود والقريب والبعيد، ولقد هابته الملوك وهادته واعتصمت منه بالذمم، وحضت على مؤازرته، وتابعه قيصر والنجاشي وملوك العرب. فأما المسيح عليه

---

(١) حديث العباس مع أبي سفيان رضي الله عنهما ورد في قصة فتح مكة - في سياق طويل - عن ابن عباس رضي الله عنه، أخرجه ابن إسحاق (ر: سيرة ابن هشام ٤/ ٦٤)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (ر: المطالب العالية ٤/ ٢٤٤ - ٢٤٦ لابن حجر. وأخرجه ابن سعد ٢/ ١٣٤ - ١٣٧، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٣٢ -٣٥، وذكره الهيثمي في المجمع ٦/ ١٦٧ -١٧٠، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر: هذا حديث صحيح.

(٢) هذه مقالة أبي سفيان للعباس رضي الله عنهما في قصة الفتح حينما رأى أبو سفيان المسلمين يتلقون وضوء رسول الله ﷺ، وقد أخرجها البيهقي في الدلائل ٥/ ٣٩-٤٠ برواية موسى بن عقبة، ونقلها ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٣٢٤.

(٣) هذه مقالة أبي سفيان بن حرب قالها لأصحابه من كفار قريش بعد ما سأله هرقل ملك الروم عن أحوال النبي ﷺ، وقد أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب (٧) (ر: فتح: ١/ ٣١-٣٣)، ومسلم ٣/ ١٣٩٣ -١٣٩٧، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٧٧-٣٨٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما في سياق طويل. قال الحافظ ابن حجر: وابن أبي كبشة أراد به النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، وقال ابن قتيبة والخطابي والدارقطني: وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فعبد الشعرى، فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة، وكذا قاله الزبير، قال: واسمه وجز بن عامر بن غالب. (ر: فتح ١ / ٤٠).

(٤) استوسق: اجتمع وانتظم. (ر: القاموس ص ١١٩٩).

١/١٧ السلام/ فقد شهدت عليه أقواله وأقوال تلاميذه في الإنجيل بأنه لم يرسل إلى كل الأمم من العرب والعجم؛ إذ يقول في إنجيله: (إني لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل)(١)، (وسئل أن يقضي حاجة امرأة من الكنعانيين، فقال: ليس بجيد أن يؤخذ خبز النبيين فيلقى للكلاب)(٢)، وقال المسيح حيث بعث تلاميذه: (مدن السامرة لا تدخلوا، وطريق الزنادقة لا تسلكوا، واذهبوا إلى الخراف التي ضلت من بيت إسرائيل)(٣).

فبين في كل كلامه أن دعوته خاصة وليست عامة، فإذاً ليس هو المراد بلفظ إسرائيل، إذ إسرائيل يقول: (إنه ينتظره كل الشعوب) ولم يقل ينتظره من ضل من شعب إسرائيل لا غير.

والعجب من النصارى كيف ينزلون هذا الكلام على المسيح عليه السلام وهم مجمعون أن صاحبهم كان مستضعفاً يبذل الجزية أسوة سائر [أهل](٤) الذمة، فرووا في إنجيلهم الذي بأيديهم اليوم (أن جباة الجزية من جهة قيصر قالوا لبطرس: ما بال معلمكم لا يؤدي إلينا الغرم؟ فذكر ذلك بطرس
١/ب للمسيح، فقال: [والبنون](٥) أيضاً يؤدون الغرم/ ثم قال لبطرس: اذهب إلى البحر وألق الصنارة واصطد ما تؤدي عني وعنك)(٦).

---

(١) متى ١٥/ ٢٤.
(٢) متى ١٥/ ٢١ - ٢٨.
(٣) متى ١٠/ ٥, ٦.
(٤) إضافة يقتضيها السياق. والله أعلم.
(٥) في ص (والبنين) والصواب ما أثبته.
(٦) متى ١٧/ ٢٤-٢٧.

هذا نقلهم والعُهدة عليهم، وإذا كان الأمر ما نقلوا فليس هو صاحبهم، لأن الصادق إسرائيل قال: إن هذا الآتي يكون ملكاً نبياً وكل الشعوب ينتظرونه، والخلائق معمومون برسالته ودعوته. والنصارى يقولون: هو هذا الذي يبذل الجزية من صيد السمك ويتحمَّل الصَّفار وإن خساس اليهود وأراذلهم وثبوا به وأرذلوه واستذلوه وربطوه ربط اللصوص وأهل الدَّعَر(١)، ووضعوا على رأسه إكليلاً من الشوك، وجعلوا يصفعونه ويسخرون منه، ولما قضوا نهمتهم من عقوبته صلبوه على خشبة فوق نشز من الأرض، وقرنوه بلصين مصلبين، ثم قتلوه وإياهما، كما حكوه لنا في إنجيلهم، أفكانت بشرى يعقوب لسائر الشعوب برجل يرذل ويصفع ويؤدي الجزية فيذل لها ويخضع ويحمل خشبته ويصعد عليها ويرفع ويستسقي ماء فَيُذاد عنه ويُدفع ويسأل البقيا فلا يجاب إليها ولا يسمع. قال يعقوب/ عليه السلام: (وإياه ينتظر ١/١٧٩/أ
الشعوب) والمسيح عند النصارى إله خالق ورب رازق، ومعلوم أن أكثر شعوب الأرض وأهل الدنيا ينكرون هذا ولا يقرون به فكيف ينتظرونه؟! وإنما ينتظر الإنسان ما يجوِّزه فأما ما يحيله ويقضي بمنعه واستحالته فلا ينتظر مجيئته وإتيانه.

فقد وضح أن الذي نص عليه يقعوب في التوراة ليس هو المسيح عليه السلام. فأما اليهود فيقال لهم: أخبرونا عن مسيحكم هذا الذي أنتم تنتظرونه، هل يعرفه غيركم أو يقرُّ به سواكم؟

---

(١) الدعر: الفساد والفسق والخبث. (ر: القاموس ص ٥٠١).

فإن ادَّعوا ذلك كـابروا العيان، فإن أحـداً من الناس لا يعرفه ولا يـدين الله بمجيئه، وانتظـار الشيء فرع معـرفته، وإنما ينتظـرون المسيح الدجـال الكذاب الضال المضل الذي حذَّر منه الأنبياء[1] وأتباع الأنبياء، قالت التوارة في السفر الخامس بعد أن نصَّ على مجيء النبي الصـادق: (فأما الذي يقول مـا لم آمره به ويتكلم باسم إله أخر فليقتل ذلك[2] قتلاً، وإن أشكل عليهم معرفة الصادق من الكاذب فانظروا فإني لا أتمُّ عمل الكاذب ولا أكمل فعله، لأن قوله ذاك / ١/١٧٩/ب كذب وجرأة وصفاقة وجه لا يخافوه ولا يفزعوا منه)[3] فهذا ما في التوراة.

وأما الإنجيـل فقال[4]: (إنـه سيقوم مسيـح كذب وأنبيـاء كـذبـة بآيـات وعـلامات [ويضلـون][5] النـاس إن قَدَرُوا، ويتم الـذي حكاه دانيـال حيث يقول: يهرب الناس إلى الجبال ولا ينزل مَن على سطـح داره أن ينزل لأخذ ثيابه، الويل للحبـالى والمرضعات في تيك الأيام، ويكـون ضيق عظيم لم يكن مثله في العـالم، ولـولا أن تيك الأيـام قصرت لم يخلص ذو جسـد، ولكـن من أجل المنتخبين قصرت تيك الأيـام، ومن بعـد ذلـك تظلم الشمس والقمـر وتسقط الكواكب وترتج السماء).

وقد قـال المسيح في الإنجيل: (ومن قِبَل ثمارهم يعـرفونهم)[6]، ونحن نعلم

---

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قام رسول الله ﷺ في النـاس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقـال: إني لأُنْذِركموه، وما من نبي إلا أنذر قـومه، لقد أنذر نوح قـومه، ولكني أقول لكم فيه قـولاً لم يقله نبي لقـومه: تعلمـون أنه أعـور، وأن الله ليس بأعـور)، أخرجـه البخاري (ر: فتح ٦/ ٣٧٠).

(٢) في ص: تكررت لفظة (ذلك).

(٣) سفر التثنية ١٨/ ٢٠ - ٢٣ بألفاظ مختلفة.

(٤) إنجيل متَّى ٢٤/ ٣ - ٣٤، مرقس ١٣/ ٥ - ٣٢، لوقا ٢١/ ٨ - ٣٢.

(٥) في ص (ويضلوا) والصواب ما أثبته.

(٦) متى ٧/ ١٦، ٢٠.

أن من ثمار محمد عليه السلام توحيد الباري وتقديسه وخلع ما سواه جلَّ وتعالى، وأما المسلمون فلا يعدلون لهذا النعت عن محمد رسول الله ﷺ. وأما النصارى فمكذبون لليهود زاعمون أنه المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد أبطلنا ذلك.

وأما المجوس(١) وسائر فرق الناس كالصابئة(٢) وأصحاب هرمس(٣)

---

(١) المجوس: هم الذين أثبتوا أصلين للعالم هما (إله النور) خالق الخير واسمه يزدان، و(إله الظلمة) خالق الشر واسمه أهرمن، والمجوس يعظمون النيران والأنوار، وانقسموا إلى مذاهب كثيرة منها الثنوية، والزرادشتية، والمركونية، والمزدكية، والتناسخية.
(ر: التمهيد للباقلاني ص ٨٧، الفصل لابن حزم ١/ ٨٦، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٣٠، والداعي إلى الإسلام لأبي البركات الأنباري ص ٢٢١، ٢٧١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٨٦، البرهان للسكسكي ص٩٠).

(٢) الصابئة: في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة: صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. وقيل: بأنها كلمة آرامية الأصل تدل على التطهير، ويعرف منها:
١- الصابئة لحرانيون: وقد انقرضوا في القرن (١١)هـ ومركزهم (حران).
٢- الصابئة المندائيون: ويزعمون أنهم أتباع النبي يحيى عليه السلام، ويُقَدَّر عددهم حالياً بعشرة آلاف شخص تقريباً معظمهم في العراق وإيران. والصابئة يقدسون الكواكب والنجوم، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي والتعميد في المياه الجارية من أبرز معالم ديانتهم.
(ر: الفصل ١/ ٨٨-٩٠ الملل والنحل ٢/ ٥-٥٧، اعتقادات ص ٩٠، والبرهان ص٩٢، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص ٣١٧).

(٣) هرمس: وجمعه هرامس، يسمى عند العرب إدريس، وعند اليونانيين أطرسمسين، وعند العبرانيين أخنوخ، وعند الفرس أبهجل أو اللهجد - وتفسيره - ذو عدل. وقد اشتهر من الهرامسة ثلاثة:
١ - هرمس الأول ويسمونه (هرمس الهرامسة) - وقد كان قبل الطوفان - وهو أخنوخ أو إدريس، وللصابئة شرائع يسندونها إليه، وقيل أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم والطب.
٢-هرمس الثاني: من أهل بابل الكلدانيين وكان بعد الطوفان.
٣-هرمس الثالث: سكن مصر.
(ر: الفهرست لابن النديم ص ٤٩٢، الفصل لابن حزم ١/ ٩٠، الشهرستاني ٢/ ٤٥، الكامل لابن الأثير ١/ ٣٤، أخبار العلماء للقفطي ص ٥، دائرة معارف فريد وجدي ١٠/ ٥٠٤).

وغيرهم فينقسمون إلى من لـه شبهة كتاب / وهو لايدين بـالتوراة ولا بشيء من ١/ ١٨٠/ب
قول اليهود، وإلى من ينكر النبوات جملة كالبراهمة[١] والهنود وغيرهم.

وإذا كان ذلك كذلـك فليس المذكور في التوراة صاحبهم الـذي ينتظره سائر الشعوب، وإذا فسـدت دعوى اليهود والنصارى جميعـاً فلا بدَّ من الوفـاء بقول إسرائيل الله الصـادق، ولم يبعث إلى سائر الشعوب سوى محمـد رسول الله ﷺ ولا يمكن دعوى ذلك لموسى عليه السلام إذ هو مهجور على كل قول ولا ادعاه أحد، ثـم اعلم أنه يتعين تأويل ألفـاظ إسرائيل وصرفها عن ظـاهرها، فـأكثر كلام القوم متروك الظواهر موكول استنباطه إلى آراء العلماء وفهوم الحكماء.

والدليل على أن نبينـا محمدا ﷺ ينتظـره سائر الشعـوب قولـه تعالى في محكم كتـابه العـزيـز ﴿**قل يـا أيها النـاس إني رسول اللـه إليكم جميعـاً**﴾[٢]، ﴿**وما أرسلناك إلا رحمةً للعـالمين**﴾[٣]، ﴿**تبـارك الذي نـزل الفرقـان على عبده ليكـون للعالمين نذيراً**﴾[٤].

---

(١) البراهمة: نسبة إلى الإله (براهما) أحـد عناصر الثالوث الهندي المكون مـن (براهما، وفشنو، وسيفا)، ويمثلـون الـديانـة الهنـدوسيـة، والبراهمة هم أعلى الطبقـات في المجتمع الهندوسي، ولهم الكهـانـة والمراتب العليا، ويـزعمون أنهم خلقـوا من فم الإلة براهما، ثم يلـونهم طبقة الكـاشتر ثم الويش ثم الطبقة المنبـوذة وهم الشودر. وهذه الـديانة يعتنقها معظم أهل الهنـد، وأبرز معتقداتهم: الكـارما (قانون الجزاء)، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود.
(ر: الفصل ١ / ١٣٧، اعتقـادات فـرق ٢/ ٢٥٠، البرهـان ص ٨٧، والـداعي إلى الإسـلام ص ٢٧٢، الموسوعة الميسرة ص ٥٣١، مقارنة الأديان د. شلبي، أديان الهند الكبرى).
(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.
(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.
(٤) سورة الفرقان: ١.

١/ ١٨٠/ب وقد قال عليه السلام/ : «بعثت إلى الأحمر والأسود ، لو أدركني موسى وعيسى ولم يتبعاني لأكبهما الله في النار»(١)، وذلك الذي يوضح أنه عليه السلام المراد في التوراة على لسان يعقوب، وقد نصت الأنبياء في بنواتهم على أن هذا النبي المنتظر يكون خاتم الأنبياء، وسنذكر ذلك في الباب الأخير.

أما ما يتعين تأويله : فقوله (ربط بالحبلة جحشه) فتأوله بعض أصحابنا فقال : يشد الحمار بالشجرة ـ ثم قال ـ الحمار هم اليهود والشجرة هم أصحاب النبي عليه السلام، قال : وشاهد ذلك من القرآن والتوراة قال الله تعالى ﴿**مثل الذين حُمِّلوا التوراة، ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً**﴾(٢) فَشَبَّه اليهود بالحمار. وقال تعالى في التوارة : (أخرجت شجرة من مصر ثم فرعتها في جميع الدنيا)(٣) يعني بالشجرة أصحاب موسى وكذلك أصحاب محمد أيضاً شجرة بهذا الاعتبار، وكأنه يقول : يربط الكفار بأصحابه وأهل بيته، قال الله تعالى ﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا فَضَرْبَ الرِّقاب حتى إذا أثخنتموهم فَشُدُّوا الوَثاق**﴾(٤).

---

(١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن ورد معناه بلفظ آخر فقد أخرج الإمام مسلم ١ / ٣٧١ عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود . . . الحديث» ، وأخرجه ابن سعد ١/ ١٩١ عن أبي جعفر مرسلا بلفظ (بعثت إلى الأحمر والأسود). وأخرج الإمام أحمد ٣/ ٣٨٧ وابن أبي شيبة ٥/ ٣١٢ عن رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)، وقد تقدم تخريجه (ر: ص ٢١).

(٢) سورة الجمعة : ٥ .

(٣) ورد النص في مزمور ٨٠/ ٨ ، ٩ كالآتي (كرمة من مصر نقلت. طردت أمماً وغرستها. هيأت قدامها فأصَّلت أصولها فملأت الأرض)، ولعل المؤلف قصد بقوله : (إن النص في التوراة) العهد القديم وكتب الأنبياء، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل.

(٤) سورة محمد : ٤ .

وقد قال المسيح لليهود: (إما أن تكونوا / شجرة طيبة وثمرتها طيبة، وإما أن ١/١٨١/أ
تكونوا شجرة خبيثة وثمرتها خبيثة؛ لأن من الثمرة تعرف الشجرة)(١) هذا تأويله عند بعض أسلافنا رحمهم الله.

وأنا أقول: يحتمل أن يريد بالحبلة جزيرة العرب وهي الحجاز وما والاه، وقد كانت قبل مبعث سيدنا رسول الله ﷺ محمل الشرور ومحط الآثام كالحبلة التي خمَّرتها أم الخبائث فربط عليه السلام مركوبه؛ أي استقر بها فلم يزايلها حتي أزال ما بها من الشرك، وأباد ما اشتملت عليه من الكفر والإفك، وأحال حالها من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن كاستحالة الخمر خلا.

وقد قال بعض أهل العلم: إنهم غيَّروا من كلام يقعوب كلمتين: أحدهما (جحشه) وإنما هي مهره، والثانية (الملك) وإنما هي الكل، وذكر أنه رأى ذلك في نسخة لم تتغير ـ قا ل: ـ وإنما فعلوا ذلك لكي يخرجوا نص يعقوب عن رسول الله ﷺ.

قلت: ولا فائدة لهم أيضاً في ذلك، فلعمري لقد كان له عليه السلام ١/١٨١/ب
[حمار](٢) يسمى يعفور، ومعلوم أنه لا بدَّ من ربطه بالشجر / وغيرها، وخفاء علامة واحدة ـ لو خفيت ـ لا يقدح في ظهور بقية الصفات.

وأما قوله (يرخص بالخمر لباسه) فذلك كناية عن جهاده الكفار وقتاله في سبيل الله، أسوة سائر الرسل كما صنع إبراهيم وموسى ويوشع وداود، والخمر هو الدم ودليله قول المسيح: (وأشار إلى الخمر: هذا دمي)(٣)، وكأنه

---

(١) متى ٧/ ١٧ - ٢٠.
(٢) في ص (حماراً) والصواب ما أثبته.
(٣) متى ٢٦/ ٢٧، ٢٨، مرقص ١٤/ ٢٤، لوقا ٢٢/ ٢٠.

عليه السلام لشجاعته وإقدامه في طاعة ربه يصبغ لباسه بدماء المشركين كما ورد «أنه حين رجع من بعض غزواته ناول سيفه ابنته فاطمة عليها السلام وقال: يا بنية أزيلي ما عليه فلقد أبلى عن أبيك اليوم»(١).

وكيف لا يصفه يعقوب بذلك وقد روي «أنه عليه السلام حمل في بعض مواقفه سبعين حملة على المشركين»(٢).

وكذلك قول يعقوب عليه السلام (يصبغ بعصير العنب رداءه) يعني يغمس سيفه في دماء الكافرين، والسيف يسمى رداءً وإزاراً، ولو تصرف متأول في كلام يعقوب فقدَّم وأخَّر فقال: يرخص الخمر بلباسه/، لكان محسناً؛ يعني ١/١٨٢ يحرم الخمر ويزيل وضرها بتقواه قال الله تعالى: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾(٣) سمى التقوى لباساً.

وأما قوله؛ (عيناه أشدُّ سهولة من الخمر) فقد روي في حلاه: صلى الله عليه وسلم أنه كان بعينيه حمرة ظاهره لا تفارقه(٤)، ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى

---

(١) أخرجه ابن اسحاق معلقاً (ر: السيرة ٣/ ١٤٦)، وعنه الحاكم في مستدركه ٣/ ٢٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما رجع رسول الله ﷺ (من غزوة أحد) أعطى فاطمة ابنته سيفه فقال: يابنية اغسلي عن هذا الدم، فأعطاها عليٌ سيفه فال: وهذا فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم القتال، فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك القتال اليوم سهل بن حنيف وسماك بن خرشة أبو دجانة). وقال الحاكم: حديث صحيح، وسكت عنه الذهي.

(٢) لم أقف على تخريجه بهذا النص، ولكن ثبت أنه ﷺ كان من أشجع الناس وأصبرهم وأجلدهم، حتى قال بعض أصحابه: كنا إذا اشتدَّ الحرب وحمى الوطيس نتقي برسول الله ﷺ. (ر: الشمائل ص ١١٠ لابن كثير).

(٣) سورة الأعراف: ٢٦.

(٤) ورد في صفته ﷺ في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه كان ﷺ (أشكل العينين) أخرجه مسلم ٤/ ١٨٢٠)، وأحمد ٥/ ٨٦، ٨٨.
والشكلة: حمرة في بياض العينين، وهو محمود. والشهلة: حمرة في سواد العين. قاله القاضي وأبو عبيد وجميع أصحاب الغريب (ر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/ ٩٣. (وقد ورد أيضاً في حديث علي رضي الله عنه أنه كان ﷺ (هدب الأشفار مشرب العينين بحمرة) أخرجه الإمام أحمد ١/ ٨٩.

شدة حيائه عليه السلام فإنه كان أشدُّ حياءً وخفراً من العذراء في خدرها[1]، فكان إذا أتى أهله تلفع من شدة حيائه ﷺ.

وكان لا [يجابه][2] أحداً في وجهه بما يكره[3]، وإن أمضه ما يصدر منه عرَّض، فقال: ما بال قوم يفعلون كذا وكذا[4]، وما بال الرجل نولِّيه مما ولانا الله فيفعل كيت وكيت، وإن أقواماً استأذنوني في أمر فلا آذن لهم، وذلك لما طبعه الله عليه من الحياء والخفر والسكينة ﷺ.

١/ب وأما قوله (وأسنانه أشدُّ / بياضاً من اللبن) فإن حمل على ظاهره فكذلك كان عليه السلام لكثرة محافظته على سنة السواك[5]، وقد اختلف الفقهاء في وجوب السواك عليه ﷺ[6].

---

(١) قال تعالى: ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم . .﴾ الآية سورة الأحزاب/ ٥٣. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشدُّ حياءً من العذراء في خدرها . . . الحديث. أخرجه البخاري (ر: فتح الباري ٦/ ٥٦٦)، ومسلم ٤/ ١٨٠٩، والترمذي في الشمائل ص ٢٨٣.

(٢) في ص: (كبه) والتصويب من المحقق.

(٣) عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثر صفرة ـ وكان رسول الله ﷺ قَلَّما يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه - فلما خرج قال: (لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه) أخرجه أبو داود ٤/ ٢٥٠ والترمذي في الشمائل ص ٢٧٣.

(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟! ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا. أخرجه أبو داود ٤/ ٢٥٠.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» أخرجه البخاري واللفظ له (ر: فتح ٢/ ٣٧٤) ومسلم ١/ ٢٢٠. وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك. أخرجه مسلم ١/ ٢٢٠.

(٦) عن عبد الله بن حنظلة الغسيل «أن رسول الله ﷺ كان يؤمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلمَّا شقَّ ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة». أخرجه أبو داود ١/ ١٢، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ١/ ١٥٥ والبيهقي في السنن، ذكر ذلك السيوطي في الخصائص ٢/ ٣٩٧.
قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

و إن تأول فـالأسنان الأصحـاب والأعـوان الذين هم أعـوان النبي على تبليغ أوامر ربه تعالى كاستعانة الإنسان [بالأسنان][1] على تناول غذائه .

فـوصف يعقـوب أصحـاب نبينا رضـوان اللـه عليهم وأهل بيتـه الأكـرمين بصفاء التوحيد ونقاء العقائد عن ظلم التجسيم والتجسيد .

قال الشاعر يرثي سناً سقط له :

وصاحـب لا أمل الدهـر صحبته ... يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقـه مذ تصـاحبنا فمـذ وقعت ... عيني عليـه افترقنـا فـرقـة الأبـد

٢- فإن قيل : وفي التوراة مـا يدلُّ على مـا ندين به مـن صلب المسيح ، وهو أن موسى عليـه السلام صنع لبني إسرائيل في التيـه حية من النحـاس ، وأمرهم بالنظر إليها .

قال النصارى/ : فهذا تنويه بأن المسيح سيقتل ويصلب ؛ لأن موسى محاشى ٣/١
عن العبث ، قالوا : وقد كان المسيح يقول لأصحابه اذكروا الحية النحاس[2] .

فنقـول لهم : يا نـوكـا لو قـرأتم مـا قبل ذلك لتبين لكم غلطكم وسقطكم ؛ وذلك أن التوراة تقـول : (إن بني إسرائيل شكوا إلى ـ موسى وهم في التيـه ـ من

---

(١) في ص : [بالإنسان]، وهو خطأ، والتصويب من المحقق لموافقة السياق، والله أعلم .

(٢) يوحنا ٣/ ١٤ ، ١٥ ونصه (وكما رفع موسى الحيـة في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل مَن يـؤمن به ، بل تكون لـه الحياة الأبـدية) . ويقـول مؤلفو قـاموس الكتـاب تعليقاً على النص : بأنه عنـدما تنبأ الرب يسـوع بصلبه ، شرح معنـاه وأهميته الروحيـة بمقارنته بـرفع الحية النحاسية . أ. هـ .

قلت : هذا مـوافق لما نقله المؤلف عن النصارى في زمنـه ، وهو دليل على سخافـة عقولهم ، وضعف تفكيرهم ، وتمسكهم بأوهى الحجج وأضعفها لإثبات باطلهم وسخافاتهم .

حيات تلدغهم، فأهلكت منهم خلقاً كثيراً، فأمرهم أن يصنعوا حية من نحاس ثم يرفعوها على خشبة وقال: من لدغته حية فليأتِ ولينظر إلى تلك فيبرأ)(١).

وإنما رفعوها لكبر العسكر حتى تسهل رؤيتها ولا تتعذر مشاهدتها. وأما ما ذكرته النصارى من أن ذلك تنويه بصلب المسيح فكذب على نبي الله موسى، وكيف يُعدَّى ذلك إلى موسى عليه السلام وقد شحن توراته بتوحيد الله وتنزيهه وإفراده بالربوبية والألوهية، ثم أمر بقتل المصورين للصور، ونهى عن إتيان العرافين والمنجمين ومتحلمي الأحلام، وحرص على قتل من دعا إلى عبادة غير الله وأشرك مع الله / إلهاً آخر كما [ذكرت](٢) التوراة وقال عليه السلام: ١/ب
(من [دعاك](٣) إلى عبادة آلهة أخرى فاقتله واقتل من استجاب له من الواحد والجماعة والبلدة، ولا تحننوا عليهم، ولا ترحموهم، وأزيلوا الشر من بينكم، فالله ربكم واحد هو إله جبار عظيم مرهوب إله غيور هو نار محرقة)(٤).

فمن زعم من النصارى أن توراة موسى فيها ما يعضد باطله أكذبناه بما نقلناه من التوراة.

قال المؤلف: يقال للنصارى هَبْ أن ذلك كان تنويهاً بصلب، فبم تنكرون على من يزعم أن ذلك المصلوب إنما هو الشّبه - الذي قدمنا ذكره - وبيانه أن المسيح أعلى قدراً من الشّبه لأنه: عندنا نبي وعندكم معشر النصارى إله، فلو كانت الحية تنويهاً بالمسيح لاتخذوها من الذهب أو من شيء أعلى من الذهب

---

(١) سفر العدد ٢١/ ٨، ٩.
(٢) بياض في الأصل، والمثبت من المحقق حسب سياق الجملة. والله أعلم.
(٣) بياض في الأصل، والمثبت من نص التوراة.
(٤) سفر التثنية ١٣/ ٦ - ١١.

ليكـــون ذلك تنـويهاً بأن المصلـــوب يكـون أعلى مـن كل شيء وأفضل كفضل
١/١٨٤أ الذهب على غيره من المنطبعـات، فلما اتخذوها من النحـاس مع / قدرتهم على الذهب دل ذلك على أن المصلوب لا يكون إلا مفضولاً.

وقد شهدت التوراة بـأن موسى عليه السلام حلَّى قبة الزمان التـي بناها للرب بقدر كبير من الـذهب (١) فيا للـه العجب تُبنىٰ قبـة للرب وتُحلى بقناطير من الذهب! فكيف تتخذ الحية من النحاس وهي تنويه بالرب نفسه؟!! هذا ما لا يجمل ولا يحسن بمثل مـــوسى وصلحـاء أصحـابـه، ففضل مـــا بين الـذهب والنحـاس كفضل مـا بين المسيح والشّبـه، ثـم النحـاس يسمى بأرض الشـام المجاورة لأرض التيه شَبَهاً، (٢) فلعل القوم إنما اتخذوا الحية من الشّبه لتكون منوِّهة بصلب الشبه وحماية المسيح.

فـاعجب - هـداك اللـه - المواطأة بين الاسمين، إذ كل واحـد منهما يسمى شبهاً.

ثم يقـال للنصـــارى وكيف استـدللتم بنصب الحيـــة النحـاس على صلب المسيح وهي على النقيـض منـه، وذلك أن تلـك حين صـارت على جـــذعهـــا صارت سبباً للشفـاء ووسيلةً إلى العافية من البـلاء؛ فمن رآها خلص من علته
١/١٨٤ب وعوفي مـن لدغتـه / لساعتـه، فأما يسـوع فحين صار على جـذعه صـار سبباً للهلاك ووسيلةً إلى الاشتراك، فلو أن يسـوع حين صار على الخشبة أطبق اليهود على الإيمان وخلصوا من لـدغات الكفر والعصيـان لكان ذلك مـوضع شبهة،

---

(١) سفر الخروج الإصحاحات (٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩٣٨).

(٢) ورد في القـامـوس المحيط (ص ١٦١٠) أن: الشَّبَـه والشَّبَهـان ـ محركتين ـ: النحـاس الأصفـر، ويكسر، وجمعه: أَشْبَاه. اهـ.

فأما والأمر على العكس والنقيض مما تذهبون إليه فلا وجه لاستدلالكم بذلك وهي على نقيض مقصودكم، فقد صار ما انتزعوه استدلالاً على الباطل دليلاً على الحق[1]. ولله الحمد والمنة.

/ قال مؤلفه عفا الله عنه: ولنزدهم[2] زيادات أخر من التوراة والإنجيل ٢/٢/ب تدل على وقوع الشّبه والاشتباه ليتأنسوا به ولا يحيلونه، ومن ذلك: (أن الله تعالى غَيَّر صورة يد موسى عن لونها الأول ثم أعادها إلى لونها)[3] وفعل سبحانه ذلك تدريجاً لهم وتأنيساً على الاشتباه قبل وقوعه، إذ النفوس تبتدر[4] إلى إنكار مالم يتقدم معرفته، فكما جاز في القدرة الإلهية تغير لون يد موسى حتى صارت تلمع كالثلج فكذلك وجه المسيح، ولهذا نص الإنجيل (أنه قبل الفزع بقليل صعد إلى جبل بالجليل ونزل إليه موسى و إليا، قال التلاميذ: فنظرنا فإذا منظر وجه المسيح قد تغيَّر وتغيرت ثيابه فصارت تلمع كالبرق)[5].

وهذا الموضع إن وفق الله له ذا لب من النصارى اضطره إلى ترك القول بقتل المسيح وأحال ما كان من قتل وصلب على شبه المسيح.

ومن ذلك: أن الله تعالى أمر موسى/ فضرب البحر بعصاه فتحول دماً ٢/٣/أ عبيطاً، فكان المصريون يشربونه دماً، والإسرائيليون[6] يشربونه ماء صافياً.

---

(١) ورد في أخره العبارة الآتية (تمَّ الجزء الأول يتلوه الجزء الثاني من كتاب تخجيل من حرف الإنجيل، ووافق الفارغ منه في يوم السبت في شهر صفر الثالث من سنة سبع وثلاثين وستمائة).

(٢) في م: ولنزدرهم.

(٣) سفر الخروج ٤/ ٦, ٧.

(٤) في م: تتبدر.

(٥) متى/ ١-٨، مرقس ٩/ ٢-٨، لوقا ٩/ ٢٨ - ٣٦.

(٦) سفر الخروج ٧/ ١٩ - ٢٤.

ومن ذلك: أن مريم ابنة عمرا ن ـ أخت موسى ـ تغيرت على موسى في أمر من الأمور، فأمرهما الله أن يصعدا إلى قبة الزمان، فكلَّم الله مريم وتوعدها في حق موسى، فلما خرجت مريم من القبة إذا هي بيضاء برصاء من قرنها إلى قدمها، فرقَّ لها هارون فقال لموسى: يا سيد اشفها. فدعا لها، فأمرها الله أن تخرج خارج العسكر وتقيم سبعة ثم تدخل، ففعلت، فزال عنها البرص(١).

ومن ذلك: أن عصا موسى كانت من شجرة جوز فبينما هي خشبة يابسة لا نبات بها إذ صارت شجرة ذات أفنان وعرشت وأثمرت جوزاً، وبينما هي كذلك صارت حية ذات روح تسعى وتأكل ما وجدت، وبينما هي كذلك إذ عادت إلى حالها الأول(٢).

ومن ذلك: أن امرأة لوط لما التفتت تنظر ما نزل من العذاب بقومها صارت لوقتها نصبة ملح(٣)، وكل ذلك تأنيس بشبه(٤) / سيتفق في المستقبل، هذا ما ٢/٣/ب شهد به المنقول من التوراة.

فأما الإنجيل فقد شهد بأن الماء تحول خمراً(٥)، وشهد سفر الملوك بأن الماء انقلب زيتاً(٦).

فأما ما يشاهد من بديع تدبير الله وعجيب فعله؛ ما نرى الرجلين قد استويا في الحلى والصورة حتى لا يكاد الإنسان يفرق بينهما.

---

(١) سفرالعدد ١٢/ ١-١٥.

(٢) سفر العدد ١٧/ ٨-١٠ والنص يفيد أن عصا هارون هي التي أصبحت شجرة وأثمرت لوزاً وليست عصا موسى.

(٣) سفر التكوين ١٩/ ٢٦.

(٤) في م: [تشبه].

(٥) يوحنا ٢/ ١-١١.

(٦) سفر الملوك الثاني ٤/ ٣-٧.

وقد تتعاقب الألوان على الشجر والثمر، فترى الثمرة الواحدة بينما هي في غاية البياض إذ عادت في غاية الاخضرار، وبينما هي كذلك إذ صارت صفراء ثم حمراء ثم سوداء وكذلك أحوالها في الطعوم وتنقلها من المرارة إلى الغضوضة إلى الحلاوة وذلك في الزمن اليسير.

وقد نرى الشخص أزهر اللون نقي البشرة في حال الصبوة ثم نراه في حال الشيخوخة فلا تكاد تبين[1] صورته، وهذا الشَّيْب فإنه يصبغ الأسود الحالك أبيضاً يَقَقاً[2] وهذا من أعجب أنواع الصباغ، ولا عجب من حسن ما الله خالق، وقد قال شاعرهم في هذا المعنى:

أنكرتني إذ رأت شيبي بدا ... ثم قالت ما الذي بعدي عراه

٤/أ قلت هذا صبغة الله ومن ... يصبغ الأسود مبيضاً سواه

وكم مَنْ قد اتفق له هم وغم وركوب هول في بر أو بحر فبات غريباً فأصبح أشيبا ولقد خُبِرّت[3] أن عندنا بأرض مصر حيواناً يعرف بالحرباء يتلون في الساعة الواحدة عدة ألوان، وهذه أمور شاهدة بأن الشبه غير مستحيل في نفسه، وإذا كان جائزاً فقد أخبر الصادق بوقوعه فلا التفات بعد ذلك إلى جهلة[4] النصارى في ردِّه.

---

(١) في م: [تثبت].

(٢) اليقق: القطن، وأبيض يَقَقٌ: شديد البياض. (ر: القاموس ص (١٢٠١).

(٣) في م: أخبرت.

(٤) في م: جهة.

وإن قالوا: لا ننكر جوازه[1] وإنه غير مستحيل في نفسه غير أن المسيح قال لنا: إنه سيناله من اليهود قتل وغلب وآلام كثيرة، فوقع الأمر كما أخبر.

قلنا لهم: أين قال لكم ذلك في الإنجيل أم في غيره؟! فإن عزوه إلى غير الإنجيل أكذبهم جملة الإنجيل إذ هو مقصور على أخبار المسيح من حين ولادته إلى حين رفعه، وليس يؤثر عنه شيء خارج عما في الإنجيل، وإن عزوه إلى الإنجيل افتضحوا؛ إذ اللفظ في الإنجيل أقربه إلى مقصودهم قول المسيح: (إن ابن الإنسان سيناله من اليهود كيت وكيت)[2]، وقد بينا غير مرة أن ابن الإنسان المذكور إنما هو الشبه الذي قتل وصلب، والدليل على ذلك أن النصارى إلى يومنا / هذا ليس فيهم من إذا روى شيئاً عن المسيح قال: قال ٢/٤/
المسيح ابن الإنسان، ولا إذا أقسم قسما قال: وحق المسيح ابن الإنسان، ولا إذا دعا وابتهل سأل المسيح ابن الإنسان، ولكن ديدنه وهجيره أن يقول: قال المسيح ابن الله، وحق المسيح ابن الله.

فإذاً دعواهم أن المسيح قال: إني سأُقتل وأُصلب دعوى لا حقيقة لها فاعلموا ترشدوا.

٣- وانتزع النصارى من التوراة تحريم الأعمال في السبت: وقالوا: إنما كان ذلك تنويهاً وتنبيهاً للناس على آلام المسيح، وذلك لأنه صلب يوم الجمعة ودُفن ليلة السبت وقام يوم الأحد باكراً، فنبَّهت التوراة على أنه يكون يوم السبت كله مَيِّتا معطلا من الأعمال.

---

(١) مرقس ٨/ ٣١.
(٢) في م: [لا شك بوازه].

ونحن ــ يرحمك مولاك ــ قد أريناك[1] بعون خالقك حماية الله عبده المسيح وصونه عن كيد أعدائه، وإلقاء شبهه على رجل قد حضر أجله ورضي الله له الشهادة فلا معنى للإعادة، غير أن النصارى يتعلقون في أباطيلهم بأدنى سبب كالغريق في اللجة يتعلق بما لا ينجيه، وإلا فأي مناسبة بين خلق الله تعالى العالم في ستة أيام وإنجاز / المخلوقات في اليوم السابع وبين إهانة ٢/٥/أ رجل وقتله وصفعه وصلبه في ذلك اليوم؟! والفراغ من الأعمال غاية الكمال، والصفع والصلب والقتل غاية الذل والنقص ولا مناسبة بينهما البتة.

وإنما حرَّم الله على بني إسرائيل العمل يوم السبت[2] ليتذكروا ما كانوا فيه من السُّخر والتعب والنصب عند فرعون، ويحمدوا الله على ما أراحهم من جور الفراعنة، فرسم لهم يوماً واحداً في الأسبوع يكون لهم تذكرة كيلا يتقادم الزمان فينسون حسن صنيع الله عندهم فتلزمهم العقوبة أو نقص المثوبة بقلة الشكر على ما اتخذ عندهم من النعمة.

فيقولون: لو أن الله وضع لنا علماً نعلم[3] به ما جرى لسلفنا لم نقصر في الشكر، فأزاح الله عللهم وعين لهم اليوم الذي تمت فيه خلائق الله ومصنوعاته، فهذه هي العلة في العطلة من الأعمال يوم السبت لا كما انتزع النصارى.

على أنا لو تركناهم وما انتزعوا لم يكن فيه دلالة إلا على قتل الشّبه الذي فرغنا من ذكره.

---

(١) في م: [أرينا].
(٢) سفر الخروج ٢٠/ ٨، ٢١/ ١٢-١٨.
(٣) في م: [نعمل].

٢/٥/ب وكذلك / أمره تعالى برجم الزاني واللوطي تذكيراً لهم ولنا ما فعل بأهل سدوم وعامورا[١] ليحصل الانزجار عن مثل فعلهم، قال الله تعالى: ﴿**وما هي من الظالمين ببعيد**﴾[٢].

وكذلك أمره سبحانه بالاغتسال من الجنابات والأحداث تذكيرا لهم ما صنع بفرعون وقومه، وكيف أغرقهم في البحر وفجَّر لهم المياه من الصخر القاسي. وكذلك أمرهم باتخاذ الأواني من الذهب في بيت مقدسهم إذكاراً لهم بالذهب الذي خرجوا به من مصر وكيف سلبه من الفراعنة ومنحهم[٣] إياه مع عزِّ المسلوب وضعف السالب.

وكذلك أمره إياهم بأن يفدوا أولادهم بذبيحة كل على قدر طوقه إذكاراً لهم فعل إبراهيم حين أراد ذبح ولده[٤] ليتأسوا به في الرضى والتسليم لله عز وجل فيعظم مثوبتهم ويجزل أجرهم.

وكذلك أمره سبحانه بالقرابين والأضاحي تذكرة فعل ابْنَيْ آدم وسخاء نفس هابيل وشح أخيه قابين، [٥] ليكف البخيل عن بخله ويجود السخي في سخاه.

٢/٦/أ وكذلك أمره إياهم أن يقربوا/ عن أبكارهم إذكاراً لهم ما صنعه الله بأبكار فرعون وقومه وكيف قتل في ليلة واحدة أبكار الناس والحيوان من الملك إلى الأتوني[٦].

---

(١) تكوين ١٩/ ٢٤.
(٢) سورة هود: ٨٣.
(٣) في م: [ومنحتهم].
(٤) ورد ذلك في سفر التكوين ٢٢/ ١-١٣.
(٥) ورد ذلك في سفر التكوين ٤/ ٢-٧.
(٦) ورد ذلك سفر الخروج ١٣/ ١٣-١٦.

وكذلك رش الكهنة الدم على المذبح إذكاراً لهم الدم الذي أرسل على المصريين والنعمة على بني إسرائيل(١)، إذ يشرب هؤلاء الماء العذب وهؤلاء الدم العبيط من معين واحد ومجرى واحد.

وكذلك أمره لهم بعيد [المظالّ](٢) إذكاراً لهم تظليلهم بالغمام من حر الشمس، وقد ذكرت التوراة العلة في ذلك، فقال الله تعالى: (إن سألك ابنك عداً وبعد غد، وقال لك: أي شيء هذا؟ فقل له: بيد منيعة قوية أخرجنا قومنا من مصر)(٣).

وهذه المواضع تبطل على النصارى ما احتجوا به من العطلة في السبت على قتل المسيح وصلبه.

٤- وانتزع النصارى من التوراة قوله: (تعالوا نخلق بشراً(٤) يشبهنا ومثالنا)(٥)، وقوله أيضاً فيها: (تعالوا ننزل نبلبل ألسن الناس)(٦)، قالوا: فهذا دليلنا على الثالوث وإنما خاطب بذلك الروح / والابن، وقوله (شبهنا ومثالنا) دليل على التأنس الذي فعله(٧). ٦/ب

(١) سفر الخروج ٧/ ١٩-٢٤.

(٢) في ص، م(الظال) والصواب ما أثبته، عيد المظال: هو آخر الأعياد السنوية الكبرى، وثاني أعياد الحصاد عند بني إسرائيل، واشتق الاسم من عادتهم في أن يسكنوا مظالا أثناء مدة العيد، ويسمى أيضاً (عيد الجمع)، وكان يقام في الشهر السابع (سبتمبر - اكتوبر). (ر: قاموس ص ٥٨٦، ٥٨٧).

(٣) سفر اللاويين ٢٣/ ٤٢, ٤٣.

(٤) في م: [بشر].

(٥) تكوين ١/ ٢٦ والنص كالآتي: (وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا).

(٦) تكوين ١١/ ٧، ٩.

(٧) نقل الإمام ابن تيمية استدلال النصارى بهذا النص: على أن المراد بشبهه ومثاله هو كلمته وروحه (أي الله - تعالى عما يقولون علواً كبيراً -) ثم ذكر ابن تيمية الردّ على الشبهة من ستة أوجه، منها:
أ- أن الله ليس كمثله شيء، وليس لفظ النص (على مثالنا).
ب- أنه لا اختصاص للمسيح بما ذكر على كل تقدير حق وباطل بأي تفسير فُسِّر قوله (سنخلق

والجواب: أن نقول أخطأتم الطريق وقذفتم بنفوسكم من مكان سحيق، وذلك أن الروح والابن قديمان لا دخول لهما تحت أوامر الآب حتى يأمرهما، وليس قوله لهما بأولى من قولهما له، فمن صَيَّر الأب أولى بافتتاح القول منهما؟!

ثم الأب عبارة عن الذات، والروح عبارة عن الحياة، والابن عبارة عن العلم أو النطق، فكيف يخاطب الله علمه وحياته فيقول لهما: تعالوا ننزل، والصفة على تجردها لا تُخَاطَب ولا تُخاطِب؟!

فإذا قالوا: فإذا كان لفظ التوراة هكذا وهو صالح للتثليث فما وجه حمله على التوحيد؟ قلنا: هذه النون مشهورة في كل لسان وعند كل إنسان يطلقها العظماء بينهم والأكابر، وهي بالله أليق، إذ هو العظيم على الحقيقة وكل عظيم سواه فهو عبده، ومخترع(١) من صنعه.

وقد قال لوقا في إنجيله: (إن ناساً راموا ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون كما عهد إلينا أولئك الصفوة)(٢) فهذا لوقا قد ذكر نفسه(٣) بلفظ الجمع فبطل ما تخيّله / النصارى من ذلك. ٢/٧/أ

وقد قال الله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿**إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون**﴾(٤) ﴿**إنَّا أوحينا إليك**﴾(٥).

بشرا على صورتنا شبهنا)، لم يخص ذلك المسيح. (ر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٣١-٢٣٥).

(١) في م: [ومخترعا].

(٢) لوقا ١/ ١، ٢.

(٣) في م: [بنفسه].

(٤) سورة الحجر: ٩.

(٥) قال تعالى: ﴿**إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده . .**﴾ **الآية**، سورة النساء: ١٦٣.

ويحتمل أن يكون أمر الملائكة بالنزول وبخمر طينة آدم وتقديرها على هذا الشكل الإنساني كالفعلة[1] والعمال الذين يصدرون عن رأي المهندس الحكيم، فلما كملت فخارته نفخ الله فيه الروح، والخلق عبارة عن التقدير قال الأول:

وَلَأَنْتَ تَفْري مَا خَلَقْت وبعـ ـضُ القومِ يخلُق ثم لا يَفْري[2]

هذا كله إن كانت ألفاظ التوراة والإنجيل لم يدخلها التحريف والتصحيف، وهذا الموضع إن لم يمش على ما قلناه وإلا صادم بقية نصوص التوراة في استبداد الله تعالى بالخلق والاختراع إذ قال الله في السفر الأول منها: (في البدء خلق الله السماء والأرض، فقال الله: ليكن كذا ليكن كذا، حتى أكمل سائر مخلوقاته في ستة أيام)[3] كل ذلك ليس فيه ما يشعر بتثنية ولا تثليث.

فأما قوله: (شبهنا ومثالنا) فهذا الموضع هو الذي غلط اليهود والنصارى فاعتقدوا أن الله / [جسم][4]، وأنه مشابه لهذا الهيكل الإنساني، ويتعالى ٧/ب
القديم عن مشابهة مخلوقاته ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[5].

وإنما أراد الله تعالى أن آدم صار يعرف الخير والشر، ولم يرد المثال والشبه الخلقي، وقد فسرته التوراة بعد ذلك بأسطر فقال الله تعالى: (هذا آدم قد صار كأحدنا يعرف الخير والشر)[6]، والسر في ذلك أن الملك مركوز في خلقه معرفة الخير والشر، والحيوان البهيم خال عن ذلك، وقد كان آدم في بدء أمره

---

(١) في ص: لفعله، والمثبت من نسخة م.
(٢) ذكره الجوهري في الصحاح ٤/ ١٤٧١ ونسبه إلى الشاعر: زهير بن أبي سلمى.
(٣) سفر التكوين الإصحاح الأول.
(٤) في ص (جسما) والصواب ما أثبته.
(٥) سورة الشورى: ١١.
(٦) تكوين ٣/ ٢٢.

[ساذجاً][1] عن معرفة ذلك، فلما تناول الشجرة بدت له سوءته، وعرف ما لم يكن يعرف من الخير والشر.

وإذا كان الله سبحانه[2] إنما أراد المماثلة في العلم بالخير والشر بطل قول النصارى إن ذلك [دليل][3] على التثليث.

وأما قوله (ننزل نبلبل الألسن) فنزوله نزول أوامره وتجدد أحكامه وهبوط الملائكة بوحيه، وإلا فالحركة والتفريغ والاشتغال يستحيل على القديم سبحانه[4]، وقد رُوي عن سيدنا رسول الله أنه قال: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في كل ليلة جمعة / فيقول: هل من تائب . . . الحديث»[5]. ١/٨/٢

---

(١) في ص (ساذج) والصواب ما أثبته.

(٢) في م زاد: وتعالى.

(٣) في ص (دليلا) والصواب ما أثبته.

(٤) في م زاد: وتعالى.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخر، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

أخرجه البخاري (ر: فتح الباري ٣/ ٢٩)، ومسلم ١/ ٥٢١، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥. وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على التصديق بنزول الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كما ورد في الحديث من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف، ووصفه بالنزول كوصفه بسائر الصفات كالاستواء على العرش والإتيان والمجيء **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**(الشورى: ١١).

وأما الشبهة التي أوردها المؤلف في أن النزول يستلزم الانتقال والتفريغ والاشتغال وذلك من خصائص الأجسام التي تمتنع في حق الله عز وجل، فجوابها. أن نقول: إن نزول الله عز وجل وإتيانه ومجيئه لا يشبه نزول الخلق وإتيانهم ومجيئهم، فلا يلزمه تبارك وتعالى مالزمهم، فإن الله عز وجل لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة.

يقول الإمام ابن القيم: إن الصفة يلزمها لوازم لنفسها وذاتها، فلا يجوز نفي هذه اللوازم عنها لا في حق الرب ولا في حق العبد، ويلزمها لوازم من جهة اختصاصها بالعبد، فلا يجوز إثبات تلك اللوازم للرب، ويلزمها لوازم من حيث اختصاصها بالرب، فلا يجوز سلبها عنه ولا إثباتها للعبد. اهـ. (ر: مختصر الصواعق ٢/ ٤٨٥).

يقول ابن قتيبة: لا نحتم على النزول منه (الله) بشيء، ولكنا نبيّن كيف النزول منا وما تحتمله ==

وقول التوراة في خاتمتها[1]: (أقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران)[2] فنزوله سبحانه؛ نزول أوامره، وظهوره ظهور[3] شرائعه، وإقباله؛ إسباغ نعمه على خلقه، وهذه كلها معانٍ معقولة يؤمن بها اللبيب ولا يجريها على الظاهر إلا المريب، ونحن فقد بينا من كتابهم الذي بأيديهم توحيد الباري، واستشهدنا بأقوال المسيح في التوحيد وأقوال تلاميذه، وذلك يبطل تعلقهم بهذه الكلم التي لا دلالة فيها على التثليث.

==اللغة من هذا اللفظ ـ والله أعلم بما أراد ـ والنزول منا يكون بمعنيين: ـ أحدهما ـ الانتقال عن مكان إلى مكان كنزولك من الجبل إلى الحضيض ومن السطح إلى الدار، والمعنى الآخر - إقبالك على الشيء بالإرادة والنية، وكذلك الهبوط والارتقاء والبلوغ والمصير وأشباه هذا من الكلام. أ. هـ مختصراً. (ر: تأويل مختلف الحديث ص ١٨٤، ١٨٥).

فالإمام ابن قتيبة يبّين لنا في كلامه ما تحتمله اللغة من معنى النزول الحقيقي بالنسبة للخلق، فعلى المعنى الثاني الذي ذكره ليس فيه انتقال جسم ـ وهو لازم على المعنى الأول ـ فنزول البشر يأتي على تلك الصفتين وهو فيهما حقيقة. إذن فلا يحكم على نزول الله تعالى أنه يكون كنزول خلقه، وأنه يلزم نزوله ما يلزم نزولهم، وإن كان هناك اشتراك في اللفظ فإنه لا اشتراك في حقيقة الصفة وقيامها بالمتصف بها، فصفات الله تعالى لائقة بكماله وجلاله وعظمته، ولا يجوز نفيها عنه عز وجل خوفاً من التشبيه؛ لأنه لا مشابهة بين صفات الخالق وصفات المخلوق، كما لا مشابهة بين ذاته المقدسة وذواتهم، ولأن صفات الخلق مناسبة لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم، وصفاته عز وجل مناسبة لعظمته وبقائه وقدرته وغناه سبحانه وتعالى. (للاستزادة ر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٣/ ٤٣٤ - ٤٥٣، شرح حديث النزول للإمام ابن تيمية).

(١) في (خاتمتها) ليست في م.

(٢) تثنية ٣٣/ ١-٣.

(٣) ليست في م.

٥- وانتزع النصارى من التوراة (أن ثلاثة من الملائكة مروا بإبراهيم عليه السلام فسجد لهم وخاطبهم بـ (يارب))[١] قالوا: فهذا إبراهيم يعتقد التثليث الذي نحن نقول به[٢].

فيقال لهم: غلطتم أيها القوم غلطاً عظيماً، وحدتم عن صوب الصواب، وأشكل عليكم غير المشكل، وذلك أن التوراة تقول في السفر الأول منها: (إن الله سبحانه كان متجلياً لإبراهيم قبل رؤيته الملائكة الثلاثة)[٣] فقوله: (يارب) خطاب[٤] لله وحده، ويؤيد ما قلته قول / التوراة: (ومضى الملائكة ٢/٨/د نحو سدوم وبقي إبراهيم قائما بين يدي الله تعالى يشفع في القوم، ويقول: بخطيئة واحدة تهلك الأبرار مع الفجار، حاشاك من ذلك يا حاكم الأرض أن[٥] يكون هذا من صنيعك)[٦]. فهذا وجه حسن مقبول.

ووجه آخر: وهو أنه يحتمل أن يكون إبراهيم أَضْمَر(يا رسل رب)، والإضمار في التوراة كثير جداً (كقول الملك لهاجر رآها ومعها ولدها إسماعيل: شُدِّي يديك بهذا الغلام فإني سأكثر نسله كثيراً)[٧]، فأضمر الملك (يقول لك الله: إني سأكثر نسل ولدك) إذ الملك لا يقدر على ذلك، وهو صادق لا يكذب.

---

(١) ورد النص في تكوين ١٨/ ٢, ٣ كالآتي (وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد . . .).

(٢) نقل ذلك عنهم أيضا الإمام ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل ١/ ٢٢٠، وقال: وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث. أ. هـ.

(٣) تكوين ١٢/ ٧، ١٨/ ١.

(٤) في م: [خطابا].

(٥) في م: (أن) ساقطة.

(٦) تكوين ١٨/ ٢٢-٢٥.

(٧) تكوين ٢١/ ١٧، ١٨.

وكذلك قول التوراة في هذا السفر: (إبـراهيم إبراهيم لا تذبحن الغلام، فقد علمت أنك تخاف الله حين لم تمنعني ابنك وحيدك)(١) فأضمر (قال الله) لأن إبراهيم لم يقصـد بذبح ولده التقـرب إلى المَلَك ، ولم يكذب في قـوله، وإذا ثبت أن إبـراهيم إنما خاطب بـذلك الله؛ وسجـد له؛ بطل انتـزاع النصارى لـذلك واستشهـادهم بـه، على أنـا نقول: لـو ثبت أن إبـراهيم إنما خـاطب الملائكـة وسجد لهم لم يلـزم منه / مـا انتحله النصـارى من عبـادة الثالـوث؛ لأن قصد ١/٩
الجماعة الكثيرة (٢) بلفظ الواحد هـو لسان القوم كان في ذلك الزمـان، وشاهده من التـوراة قـولـه لبني إسرائيل: (وتعملـون للـرب إلهكم ليبـارك في طعـامكم وشرابكم، ويـدفع الآلام عن بيـوتكم، ولا يجعل عـاقـرا في أرضكم، وأرسل هيبتي بين يديك، وأقاتل عنك كل من تذهب إليـه، وأجعل أعداءك خاضعة بين يديك)(٣) وهذا كما تـرى مخاطبة الجمع الكثير بلفـظ الواحـد، وفي التوراة من هـذا الجنس كثير؛ كقـولـه لبني إسرائيل: (إنكم تعـرفـون أنفس التـواينـة؛ لأنكم كنتـم تـــواينـــة بأرض مصر، ازرع أرضـك ست سنين ودعهـــا في السابعة)(٤).

وشاهـد من المزامير لداود: (اسمع يـاقوم، أقـول لكم يا إسرائيل: أنـا الله ربك)(٥) وشاهـده من الإنجيل (لا تقابلـوا الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن رام أخذ ثوبك فألق عليه رداءك)(٦).

---

(١) تكوين ٢٢/ ١١, ١٢.

(٢) في م: [الكبيرة].

(٣) خروج ٢٣/ ٢٥ - ٢٧.

(٤) ورد النص في سفر الخروج ٢٣/ ٩ - ١١ كالأتي: (ولا تضايق الغـريب فإنكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر، وست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها وأما في السابعة فتريحها).

(٥) مزمور ٨١/ ٨ - ١٠.

(٦) متى ٥/ ٣٩، ٤٠.

وفي الإنجيل (لا تصنعوا بِرَّكم قُـدَّام الناس لتراؤوا لهم فيحبط أجركم؛ لكن إذا صنعت رحمة فـلا تُصـوِّت / قدامك بـالبـوق كما يفعل المراؤون في المحـافل والأسـواق لكي يحمدهم النـاس)[1] وذلك في كتبهم كثير، فلـو كان خطـاب إبـراهيم للثلاثـة بلفظ واحـد يدل على التثليـث؛ فهذه كتبهم تخاطب الجمـوع الكثيرة بلفظ الواحد فيلزم منه إفساد التثليث. ٢/٩/ب

وأما قوله (يا رب) فقد قدمنا أن لغة القوم تجيز ذلك، وأنهم يخاطبون العظيم القدر الرفيع المنـزلة ولا يستنكر ذلك منهم، وقد قال زكريـا عليه السلام: (قال لي الملك: ما تدري ما هذا؟ قلت: لا يارب)[2].

ورأى يوشع رجلاً في يـده السيف مصلتاً؛ فذهب إليه فقـال: (أَمِنَّا أنت أم من عدونا؟ فقال: أنـا رئيس جند الله[3]. فسجد يوشع وقال: أَيُّ شيء يقول الرب لعبده؟ فقال: اخلع نعليك فإن الموضع الذي أنت فيه مقدس)[4].

وهـذا في كتب القـوم كثير يخاطبـون به أكـابـرهم وعظماءهم، ولما كـان لفظ الرب يطلقـونه على غير اللـه تجوزاً وتوسعاً، احتـاجوا إلى لفظ التأكيـد والتكرار عنـد إرادة الرب الحقيقي، فقيل لهم في التـوراة والكتب العتيقة: (اعلمـوا / أن اللـه ربكم وإلهكم وخـالقكم ورازقكـم) حتى يـرتفع الاشتراك بين المجـاز والحقيقـة، وقال سبحـانه في التـوراة لبني إسرائيل: (اختنـوا قلفة قلـوبكم ولا ٢/١٠

(١) متى ٦/ ١، ٢.

(٢) ورد النص في سفر زكـريا ٤/ ٥ كـالآتي: (فأجاب الملاك الذي كلمني وقـال لي: أما تعلم مـا هذه؟ فقلت: لا يا سيدي).

(٣) في م: [الرب].

(٤) سفر يشوع ٥/ ١٣-١٥.

تقسوا رقابكم، الله ربكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، إله عظيم مرهوب جبار، لا يرتشي ولا يحابي، ينصف الأيتام والأرامل الذين يقبلون إليه)[1].

وقد ذكرنا أن السجود كان سلام القوم على أكابرهم وتحيتهم لعظمائهم، فقد سجد يوشع للملك، والتوراة تشهد بأن إبراهيم ولوطاً و إخوة يوسف وأولاده قد فعلوا ذلك، وذلك مذكور مشهور[2].

قال مؤلفه ـ عفا الله عنه ـ: في هذا الفصل من التوراة معانٍ رديَّة فتأمل:

منها قولهم: (إن الله قال لإبراهيم: لقد وصل إلي إثم سدوم وعامورا فقلت انزل الآن فانظر هل صنعوا وأثموا كما بلغني و إلا عرفت ذلك)[3] فإن فيه نسبة الباري إلى عدم العلم بالمغيبات، ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق وأنهم في موضع تهمة ومحل ظنه.

١/ب والموضع / الآخر قولهم: (إن الملائكة أكلت الطعام عند إبراهيم ولوط، فنقلوا عن إبراهيم أنه أطعمهم خبز ملة، وصنع لهم عجلاً سميناً، وسقاهم لبناً وسمناً، وأن لوطاً أطعمهم فطيراً)[4] هذا وأهل الكتاب ينكرون قول أهل الإسلام أن أهل الجنة يغتذون بالطعام والشراب، ويقولون: لا طعام في الجنة ولا شراب ولا نكاح؛ بل يكون حالهم كحال الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وهذه غفلة عظيمة، وقد قال تعالى في شأن الملائكة في هذه القصة: ﴿**فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم**﴾[5] وذلك كناية عن ترك الأكل ويشبه أن يكونوا أمسكوا[6] طعام إبراهيم وباركوا عليه، وتقدموا إليه بإطعامه أبناء السبيل وذوي الحاجة.

---

(١) تثنية ١٠/١٦ - ١٨. (٢) ر: ص ١٧٤.
(٣) تكوين ١٨/ ٢٠ - ٢١. (٤) تكوين ١٨/٦-٨.
(٥) سورة هود: ٧٠. (٦) في م: مسوا.

٦- وانتزع النصارى من التوراة قولها: (وأهبط الرب على سدوم وعامورا ناراً وكبريتاً من بين يدي الرب من السماء)[١] فزعموا أن تكرار (الرب) مرتين دليل لهم على أقنومين[٢]، وأن الله أَبْهَم ذكر [الأقنوم][٣] الثالث ووكله إلى استخراج العلماء والفهماء[٤]/ لتكثر أجورهم وتجزل مثوبتهم بالبحث والاستنباط. ١١/٢

والجواب عن ذلك: أنه سبحانه[٥] إنما كرر لفظة الرب للتأكيد ليُعْلِم عباده أنه هو المتولي عذاب الظالمين، وهذا موجود في كل لغة عند إرادة التأكيد وهو كقول القائل: نعوذ بالله من غضب الله، وكقول التوراة: (وصعد موسى إلى الله وناداه الله: قل لبني إسرائيل وأَعْلِم بني يعقوب قد رأيتم ما صنعت بالمصريين)[٦] وكرر الله مرتين وكرر يعقوب والمعنى واحد.

وقد قال أشعيا في نبوته: (إن الرب رحم[٧] يعقوب ونجى إسرائيل)[٨] وقال أشعيا أيضاً: (تكلم يا يعقوب وقل يا إسرائيل ولا تخف)[٩].

وفي التوراة: (قال موسى: يا رب الشعب الذين معي ستمائة ألف، وأنت قلت إنك تطعمهم لحماً شهراً كاملاً، فلو ذُبح لهؤلاء أنعام الأرض وثيرانها أو

---

(١) تكوين ١٩ / ٢٤.

(٢) نقل الإمام ابن تيمية هذا الاستدلال الفاسد من النصارى، وأورد الردّ عليهم من أربعة أوجه. (ر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٣) في ص (القنوم) والصواب ما أثبته.

(٤) في م: [الفقهاء].

(٥) (أنه سبحانه) ليست في م.

(٦) خروج ١٩/ ٣، ٤.

(٧) في م: [وهم].

(٨) أشعياء ١٤/ ١ كالآتي: (لأن الرب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل).

(٩) أشعياء ٤٠/ ٢٧.

صِيد لهم سمك البحور أين كان يقع ذلك منهم؟ فقال الرب: يد الرب تكمل الأشياء، الآن ترى هل يتم كلامي أم لا)[1]، فبطل ما تعلقوا به من قوله: (أنزل / الرب من بين يدي الرب). ٢/١١/ب

ويقال للنصارى: ما قولكم فيمن يدعي أن الأقانيم خمسة ويستشهد بقول الله تعالى في التوراة: (فدعا بنو إسرائيل، فصعد نحيبهم إلى الله، فرأى الله بَلِيَّتهم فذكر الله ميثاقه مع إبراهيم أبيهم، فنظر الله لهم وعلم الله حالهم واضطرارهم)[2]، وإن كان قوله (أهبط الرب على سدوم . . .) تدل على أقنومين، فهذه الآية من التوراة تدل على خمسة أقانيم، ولعل ثم أيضاً عدة أقانيم وراء هذه الخمسة أظهر منها ما أظهر وأبهم الباقي؛ ليكثر أجر الحكماء والعلماء في استنباط ما أبهم منها.

وكذلك قال داود في مزمور الثامن عشر: (ناموس الرب بلا عَيْب، شهادة الرب صادقة، أمر الرب مستقيم، ووصية الرب تدبر العيون، خشية الرب زكية، أحكام الرب عادلة)[3] فهذا المزمور قد كرر (الرب) ست مرات، أفتقول النصارى أن الأقانيم ستة؟! فبطل ما ادعوه في قوله: (أنزله الرب على سدوم) ونُزِّل ذلك منزلة قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا فرق في التكرار والتأكيد / بين أن يأتي بالاسم الواحد مرتين وبين المغايرة بين الاسمين والمعنى واحد. ٢/١٢/أ

٧- فإن قيل: دليلنا على ربوبية المسيح أنه أحيا الميت، وأبرأ الأكمه وطهَّر الأبرص، ومشى على الماء، وصعد السماء، وحوَّل الماء خمراً، وكثَّر الطعام القليل، وأقام الزَّمِن، وحمته الملائكة، وسترته الغمامة، وأخرج الشياطين من الآدميين.

---

(١) سفر العدد ١١/ ٢١ - ٢٣.

(٢) خروج ٢/ ٢٣ - ٢٥.

(٣) مزمور ١٩/ ٧ - ٩.

والجواب: أنه لم يُسلَّم لكم هذه الدعاوى سوى هذه الأمة البارة وهي أمة محمد ﷺ، فلولا محمد عليه السلام شهد لأخيه عيسى بالرسالة والنبوة لما عَرَّج أحد اليوم على أقوالكم ولا وثق برواياتكم، وإلا فما بال بني إسرائيل على كثرتهم لم يصدقوكم فيما تنقلون؟! هذا وأنتم تنقلون عن أمور محسوسة إذا وقعت لم تكد تخفى.

فإن قالوا: إن اليهود لعدواتهم لنا تمالؤا على ستر هذه الخوارق بغياً وحسداً.

قلنا لهم: فما بال من عدا اليهود من الأمم والطوائف كالفرس والديلم والترك والهنود والصين لم يصدقوكم على ذلك ويتفقوا[1] على دينكم ويتابعوكم
٢/١٢/ب على معتقدكم / وقد أَرَّخَ الناس أخبار العالم وحوادثه ودوَّنوا في كتبهم عجائبه؟!

فما بال العالم يُكذبكم ويقولون: إن يسوعكم لم يحي مَيِّتاً قط، ولا أقام زمناً ألبتة، ولا طَهَّر أبرص أصلاً، وإن جميع ما تنقلونه من ذلك كذب ومين وإفك واختلاق لا أصل له ولا صحة، فلولا محمد رسول الله ﷺ شهد بصدق أخيه المسيح، وأخبر أنه أحيا الميت، وأبرأ الأكمه والأبرص، وخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله - لما عَرّج أحد على أمثالكم وأشباهكم.

فأما بقية الآيات التي تدعونها فإن ثبت أن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبرنا بها أو أخبرنا صادق آخر من الأنبياء المتقدمين شيء منها سمعناه وآمنا به وصدقناه وكان عندنا عَلَماً من أعلام نبوته عليه السلام، فأما أنتم فإنا لا نصدقكم فيما تنقلون عن الأنبياء بعد وقوفنا على تخليطكم في منقولكم، وفساد عقولكم وقبولها لكل مستحيل، ألستم الذين تنقلون عن يوحنا الإنجيلي: أن

---

(١) في م: [وتصفقوا].

كلمة اللـه التي هي علمه صارت لحماً وشعـراً وظفراً؟ ألستم الـذين تنقلون عن أفـريم: أن اليدين اللتين خمرت طينـة آدم سُمِّـرت بالمسـامير على / الصليب، ٢/١٣/أ والشِّبْر التي مسحت السماوات عُلِّقت على خشبـة، وأن من لم يقل أن مـريم ولدت ربها إلهها فهو محروم؟!(١)

ألستم الذين زعمتم أن لـوطاً وقع على ابنتيـه فأحبلهما وأولدهما الأولاد؟!(٢) وأن رؤبيل بكـر يعقوب وقع على سُرِيَّـة أبيه وفجـر بها(٣)؟! وأن يهوذا وقع على امرأة ابنه(٤)؟! وأن دينا ابنة يعقوب افترعت وأزيلت بكارتها(٥)؟!

وصيَّرتم ذلك قرآناً يتلى في بيِّعكم وكنـائسكم بحضرة جموعكم، ألستم الذين زعمتم أن لله الخالق البـاري ابناً، وأنه أرسـل أنبياء فقهروا وغلبـوا وظهر عليهم الشيطان وقل جدهم وقهر سلطانهم، واستـولى على ملك الله، فاحتاج الله أن أرسل ابنه ذلك إلى الأرض، فولج فؤاد امرأة من خلقه وأقام برحمها تسعة أشهر، ثم خرج من فرجهـا طفلاً، وبقي يتردد بين اليهود يدعـوهم، وأن الشيطان قهره وأخرجه إلى البرية وسحبه من مكـان إلى مكان ودعاه إلى أن يسجد له، فلما أتى عليه هذا الابن سلط عليه شرذمة من أَخس(٦) جنده وأدبر أعوانه؛ وهم اليهود فأخذوه وصفعوه / ثم قتلـوه وصلبوه وأغضبوا والده وأثكلـوه ؟! وإذا كان هذا ٢/١٣/ب نقلكم فأي عاقل بعدها يسكن إليكم أو يعول في أمر عليكم.

---

(١) نقل ذلك عن النصـارى القاضي عبـد الجبار المعتـزلي، في كتابه (تثبيـت دلائل النبوة، ص ١٠٤)، والإمام ابن القيم في (هداية الحيارى، ص٢٦٩).

(٢) تكوين ١٩/ ٣٠ - ٣٨.

(٣) تكوين ٣٥/ ٢٢.

(٤) تكوين ٣٨/ ١٢ - ٣٠.

(٥) تكوين ٣٤/ ١-٣.

(٦) في م: [أحسن].

فأما إحيـاء الميت[1] فقد حكينـا أن إلياس أحيـا ابن الأرملة[2]، وأن اليسع أحيا مَيِّتين [واحداً][3] في حال[4] حياته وآخر بعد وفاته[5]، وأن حزقيال أحيا الـذين قتلهم بختنصر، وكـانـوا ألـوفـاً من النـاس، ولهم من يـوم قتلـوا [نَيِّفٌ وأربعون][6] سنـة، فقال اللـه لحزقيـال: تنبأ على هـذه العظام حتى أحييهـا لك[7]، وقد فعل قبر اليسع[8] أعجب من فعل المسيح لأن قومـاً حملوا جنازة إلى الجبال فرأوا[9] عَدُواً، فخافوا وطرحوا الميت عـن رقابهم وابتدروا فزعه، فقام الميت، وجاء يمشي حتى دخل المدينـة، فنظروا فإذا هم قـد ألقوه على قبر نبي اللـه اليسع، وفعل حـزقيـال أبـدع من فعل المسيح، وفعل مـوسى أغـرب من فعلـه؛ إذ قلب الخشبة لها عينـان تبصر بهما[10]، وأخرج من الـرمل[11] قملا يسعى حتى مـلأ قيـاطن فرعـون وأرض مصر، وهـذا أعجب وأغـرب من فعل المسيح.

وأما إبراء الأكمـه من بني آدم: فلا شك أنها من الآيات الباهـرة أيضاً، وهو يلحق بإحيـاء الميت / ؛ لأن ذاك أحيـا عضواً كـان ميتـاً فأشبـه إحياء الإنسـان جملة، غير أن آيـة موسى[12] أغرب عنـد العقلاء منهم وذلـك أن صنعه عينين ٢/١٤/أ

(١) ورد إحياء عيسى ابن الأرملة في إنجيل يوحنا ٧/ ١١ - ١٧، وإحياء لعازر ١١/ ١-٤٦.
(٢) سفر الملوك الأول ١٧/ ١٧ - ٢٤.
(٣) في ص (واحد) والصواب ما أثبته.
(٤) سفر الملوك الثاني ٤/ ١٨ - ٣٧.
(٥) سفر الملوك الثاني ١٣/ ٢٠، ٢١.
(٦) في ص (نيفاً وأربعين) والصواب ما أثبته.
(٧) سفر حزقيال ٣٧/ ١-١٠.
(٨) في م: [اليست].
(٩) في م: [فغذوا].
(١٠) خروج ٤/ ٢، ٧/ ٩ - ١٢.
(١١) خروج ٨/ ١٦، ١٧.
(١٢) في م زاد: [عليه السلام].

لخشبة يابسة جافة لا روح فيها أبدع، وأبدع من فتح عيني آدمي، ثم آية موسى كيف أراد أدارها وحولها، إذ بينما هي خشبة صارت حيواناً يبصر بعينيه ويأكل ما قدر عليه، وبينما هي حيوان إذ عادت شجرة لوز مثمرة، وبينما هي كذلك إذ عادت إلى حالها الأول، ثم إنها يستدعي بها الجراد والذباب والقمل والضفادع، ويثير بها الثلوج والمياه والظلمة، ويشق بها البحر، ويجُري بها المياه من الصخر، ويجاهد بها الجبابرة فتَنْفُذ في كل ما عمل بها أعظم نفوذ، وهذا - فاعلموا - لم يكن للمسيح من الآيات مثله، وقد فتح يوسف الصدِّيق عيني أبيه يعقوب عليهما السلام كل ذلك يشهد به التوراة.

وأما إبراء الأبرص[1]: فقد شهدت التوراة أيضاً أن مريم أخت موسى وهارون تكلمت في موسى فبرصت من ساعتها، فأُخرجت عن العسكر، فرضي عنها فزال برصها[2]، ولم يدع عليها في الأول ولا / دعا لها في الثاني، ٢/١٤/ب وذكرنا عن نعمان الرومي أنه برص فرحل إلى اليسع، واستأذن عليه فلم يأذن له، وقال: قولوا له يذهب إلى الأردن فينغمس فيه سبعا فإنه يبرأ، ففعل، فبرأ من برصه[3].

وأما مشيه على الماء[4] فقد حكينا أن إلياس وتلميذه اليسع قد مشيا على نهر الأردن جميعا[5]، وكذلك يوشع بن نون قد مشى على الماء بتابوت السكينة هو ومن معه[6].

---

(١) متى ٨/ ١ - ٤، مرقس ١/ ٤٠-٤٥، لوقا ٥/ ١٢ - ١٤، ١٧/ ١١-١٩.
(٢) سفر العدد ١٢/ ١-١٠ في سياق طويل.
(٣) سفر الملوك الثاني الإصحاح (٥).
(٤) متى ١٤/ ٢٥، مرقس ٦/ ٤٨.
(٥) سفر الملوك الثاني ٢/ ١ - ٨.
(٦) سفر يشوع الإصحاح (٣).

وأما تحويل الماء خمراً[١] فقد حكينا عن سفر الملوك من كتبهم أن إلياس أو اليسع قلب الماء زيتاً ؛ فأغنى به بيتاً من الفقراء[٢]، وذلك أعجب من فعل المسيح على الكل سلام الله .

وأما تكثيره القليل من الطعام[٣]، فقد حكي في التوراة أن موسى دعا الله فأطعم بني إسرائيل مَنّاً وسلوى في البرية، وهم ستمائة ألف سوى النساء والصبيان[٤]، وذلك أعجب وأغرب من آية المسيح عليهما السلام، وقد حكي في سفر الملوك أن إلياس عليه السلام نزل بامرأة أرملة في زمن قحط شديد حتى
٢/١٥/أ هلك الناس، ومكثت السماء لم تمطر ثلاث سنين/ فقال لها : هل عندك من طعام؟ فقالت : والله يا نبي الله ما عندي إلا كف دقيق في قلة لنا، أردت أن أخبزه لطفل صغير، وقد أيقنّا بالهلاك، فقال عليه السلام : أحضريه ولا خوف عليك . فأحضرته بين يديه، فبارك عليه، فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر؛ تأكل منه هي وأهلها وجيرانها حتى فرَّج الله عن الناس[٥]، ومَن كَثَّر القليل وأدامه أغرب في الإعجاز ممن كَثَّر ولم يدمه .

وأما حراسة الملائكة له[٦]، فالتوراة تشهد بأن الملك كان يسير في عمود الغمام أيام بني إسرائيل حتى شقَّ بهم البحر وخلصَّهم من فرعون[٧]، وذلك أعجب من تخليص المسيح من يد الشيطان .

---

(١) يوحنا ٢/ ١-١١ .
(٢) سفر الملوك الثاني ٤/ ١-٧ .
(٣) متى ١٤/ ١٥ - ٢١، ١٥/ ٣٢ - ٣٨، مرقس ٦/ ٣٤ - ٤٤، لوقا ٩/ ١٢-١٧، يوحنا ٦/ ٥-١٢ .
(٤) سفر الخروج الإصحاح (١٦).
(٥) سفر الملوك الأول ١٧/ ١٠-١٦ .
(٦) متى ٤/ ١١، مرقس ١/ ١٣، لوقا ٤/ ١٣ .
(٧) خروج ١٣/ ٢١، ٢٢ .

والعجب من النصـارى يعتقـدون أن المسيح رب الشيطـان ورب كل شيء ومع ذلك يُقِرُّون أن الشيطـان حصره في البرية واستولى عليه، وقـال له: اسجد لي، حتى خلصته الملائكة من يده وأنقذته من ورطته[1].

وأما صعـوده إلى السماء[2]، فسـائر كتبهم تشهـد أن أخنوخ قـد صعـد إلى السماء[3]، وأن إلياء قد صعد إلى السماء[4]، فاستوت حالهما مع المسيح/ . ١/ب

والعجب أن الملائكـة مأواهـا السماء وهي في زعم النصـارى خـدم المسيح، فكيف يعدون صعوده إلى السماء دلالة على الربوبية.

وأما شفـاء الزمن[5] من علة زمـانته، فالتـوراة شاهـدة أن سارة حملت وهي عجوز فانية وولدت إسحاق ببركة نبي الله إبراهيم[6]، وكذلك الإنجيل يشهد أن أليصابات على كبر سنهـا حملت وولدت يحيى ببركة نبي اللـه زكريا[7]، وما ذلك إلا عضـو أزيلت علتـه، فبطش بعـد ضمان عطبتـه وزمانتـه، فـاستـوى الأمران.

وأما ستره بالغمامة حين صعد إلى الجبل[8]، فالتوراة تشهد بأن بني إسرائيل إذ كانـوا في التيه مع موسى، وكـان الغمام يسترهم من حر الشمس وهم ستمائة ألف سـوى النساء والصبيـان وبهيم الحيـوان[9]، وذلك أربعـون سنة. وهـذا

---

(١) متى ٤/ ١-١١، مرقس ١/ ١٢، ١٣، لوقا ٤/ ١-١٣.
(٢) مرقس ١٦/ ١٩، ٢٠، لوقا ٢٤/ ٥٠-٥٣.
(٣) سفر التكوين ٥/ ٢٤.
(٤) سفر الملوك الثاني ٢/ ١-١١.
(٥) شفاء المفلوج: متى ٩/ ١-٨، شفاء الأخرس: ٩/ ٣٢-٣٤، شفاء الأعمى: متى ٨/ ٢٢-٢٦.
(٦) تكوين ٢١/ ١ - ٨.
(٧) لوقا ١/ ٥ - ٢٥.
(٨) متى ١٧/ ٥، لوقا ٩/ ٢٨ - ٣٦.
(٩) عدد ١٠/ ٣٤، ٦/ ١٥-٢٣.

أعجب من ستر المسيح بالغمامة ومعه نفريسير.

وأما شفاء المجنون من جنونه[١]، فالتوراة تشهد أن موت الفجأة وقع في بني اسرائيل فقتل منهم في يوم واحد آلافاً منهم، فأخذ هارون / البخور في مجمرة ٢/ ١ وقام بين الأموات والأحياء، فكفَّ الموت عن بقيتهم[٢]، وما الجنون إلا مرض أصاب العقل، وهو دون مرض جملة البُنية، وكذلك نهشتهم الحيات في التيه فاتخذ لهم حية من نحاس، فكان كل من لدغته حية جاء إلى الحية النحاس فيبرأ من علته[٣]، فهاتان الآيتان من التوراة أعجب من فعل المسيح.

وأما إجابة دعوته[٤]، فالتوراة تشهد بأن إسحاق حين كبر وقرم إلى اللحم وقضى أولاده شهوته دعا ليعقوب وعيسى فاستجيب فيهما[٥]، وكذلك قالت: أن يعقوب بارك ودعا لأولاده عند وفاته فلم ترد دعوته[٦]، ومما أخبر يعقوب تلميذ المسيح في رسالته: أن إلياس دعا على قومه فلم تمطر السماء ثلاث سنين وستة أشهر، ثم دعا بعد ذلك فزال الجدب[٧]. وهذا أعجب من فعل المسيح وأغرب، وقد بقيت للأنبياء آيات لم يأت المسيح عليه السلام بنظيرها فنسمع بتسطيرها. والله أعلم.

---

(١) مرقس ١/ ٢١-٢٨، يوحنا ٤/ ٣١-٣٧، متى ٩/ ٣٢-٣٤، ١٢/ ٢٢-٣٧.

(٢) عدد ١٦/ ٤١-٥٠.

(٣) عدد ٢١/ ٦-٩.

(٤) ورد أن المسيح دعا الله لأجل إحياء لعازر في إنجيل يوحنا ١١/ ١-٤٦، ودعا لأجل إطعام الكثير من الطعام القليل في إنجيل متى ١٤/ ١٥-٢١ وغير ذلك.

(٥) تكوين الإصحاح (٢٧).

(٦) تكوين الإصحاح (٤٩).

(٧) رسالة يعقوب ٥/ ١٧، ١٨.